Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

عثمان كمال حسداد

حركة
رشيد عالي الكيلاني (ربيع)
سنة ١٩٤١

الناشر
المكتبة العصرية - صيدا

عثمان كمال حمّاد

حركة
رشيد عالي الكيلاني
(الباب)
سنة ١٩٤١

حقوق الترجمة باللغات الاجنبية
محفوظة للمؤلف

الناشر
المكتبة العصرية - صيدا

المطبعة العصرية * صيدا

956.7
H117

43119H

مقدّمة

اليوم، والامة العربية في محنة شديدة بسبب حوادث فلسطين وتشريد اهلها وفشل الدول العربية في استئصال شأفة الصهيونية، نرى ان الكثيرين من الرجال المخلصين أخذوا يدرسون اسباب هذا الفشل الذريع ، عساهم يلقون نوراً ساطعاً على هذه النكبة التي حلت بالعرب فيستعرضون الأسباب والمسببات ويستنبطون العبرة لشحذ الهمم واستفزاز الروح القومية لاسترجاع هذه البقعة العزيزة من البلاد العربية ، بل هذه الحلقة التي بدونها لا بد ان يبقى العقد ناقصاً والوحدة مهشمة .

وان الأوضاع التي نراها اليوم من تقاعس بعض الحكومات العربية ورجالاتها وتأخرها عن القيام بواجبها في أدق مراحل القتال في فلسطين والمفاوضات التي تجري لعقد معاهدات دفاعية وهجومية مع دول الحلفاء هي أوضاع ليست غريبة على من يعرف تاريخ بعض الرجال الذين لعبوا ادواراً مماثلة في الماضي القريب اي سنة ١٩٤٠-١٩٤١ في حوادث حركة السيد رشيد عالي الكيلاني ، تلك الحركة التي اسيء فهمها ودسّ عليها من طرف دعاة الاستعمار ، فطمس حق القائمين بها وكاد تاريخها الحقيقي يقلب رأساً على عقب .

واني أتقدم الى الأمة العربية بمذكراتي هذه لاماطة اللثام عن تلك الحركة المباركة لكي تسودّ وجوه وتبيضّ وجوه ، لعلي اقدم بذلك بعض الواجب لأبناء العروبة من جهة وللحقيقة التاريخية من جهة اخرى . ولقد تأخرت عن نشر هذه المذكرات لعدم اثارة هذه المواضيع ، ولكن ما وصلنا اليه في قضية فلسطين جعلني اعتقد انه من الضروري عدم التكتم بشأنها واتباع السياسة العلنية التي تكشف الحقائق ولا تدفنها في حنايا الصدور.

المؤلف

الحقيقة في انقلاب الكيلاني

جئت في آذار سنة ١٩٣٦ الى فلسطين زائراً، وتعرفت الى سماحة الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى. وبعد مدة قليلة طلب الي ان اكون سكرتيرا خاصا لسماحته وذلك قبيل اضراب ١٩ نيسان سنة ١٩٣٦ الذي دام ستة اشهر. ثم خرجت مع سماحته في ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٧. وقد سافر سماحته بحراً الى لبنان بزورق صغير وخرجت براعن طريق الناقورة. ثم التقينا من جديد في قرية الذوق قرب جونيه في لبنان. وقد بقيت مع سماحته حتى نشوب الحرب العالمية الثانية في ايلول سنة ١٩٣٩. ولهذه الاعوام الثلاثة تاريخ خاص مملوء بالمغامرات والحوادث سافرد لها سجلا في المستقبل القريب ان شاء الله.

وفي تشرين الاول سنة ١٩٣٩ ارسل الجنرال فيغاند الى سماحته المسيو كولومباني مدير الامن العام الافرنسي في سوريا

ولبنان يطلب من سماحته التوقيع على منشور يذيعه على الصحافة العربية بتأييد الدول الديمقراطية في كفاحها ضد النازية الغاشمة فوعد سماحته المسيو كولومباني بتقديم رسالة خاصة . وجمع اخوانه للتشاور فى هذا الشأن ، وكانت الفكرة الغالبة انه لا يجوز تأييد الدولتين الديمقراطيتين بالنسبة للبلاد العربية ، وعلى الاخص بريطانيا العظمى بالنسبة لفلسطين ، فقد حاربت اهلها العرب طوال ثلاثة اعوام ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، فنسفت قراهم ، واعتقلت زعماءهم ، واعدمت الكثيرين من المجاهدين ، ونكلت بآخرين وأودعتهم السجون . فمن العار على العرب ان يؤيدوا زورا وبهتانا بدون قيد ولا شرط ، دولة كانت ولا تزال سبب بلاياهم . واخذ سماحته يناطل الحكومة الافرنسية الى ان اضطر اخيرا الى تقديم رسالة الى الجنرال فيغاند يشكره فيها على حسن معاملة السلطات له وما لقيه منها من حسن الضيافة والوفادة . وبالطبع فان الافرنسيين لم يرق لهم ذلك وعدوه غير كاف واخذوا يضيقون على سماحته بتحريض من البريطانيين . واستقر رأي سماحته على ترك قرية الذوق باقرب فرصة ممكنة والسفر الى العراق . وفي احدى الليالي (١٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٩) بعد ان درس طريق السفر من جميع وجوهه ، ترك الذوق ، وما هي الا عشية وضحاها حتى وصل الى بغداد وكان فيها

موضع التجلية والاحترام .

وبعد شهر تقريبا تمكنت من الافلات من رقابة الامن العام الافرنسي بجواز سفر عراقي باسم خالد الصابونجي من الموصل والتحقت متنكرا بسماحته بعد ان كدت اقع بيد موظف الامن العام في ابو الشامات ، ولكني استطعت الخلاص ووصلت الى بغداد وكان ذلك في السابع عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٣٩ .

ملاحظة : هناك بعض الحقائق ضربنا صفحا عن نشرها مراعاة للمصلحة العامة

— في بغداد —

جمع سماحته اصدقاءه والعاملين معه ، واخذ يدرس الحالة في بغداد ، فاستقر رأيه على وجوب عدم التدخل في سياسة العراق الداخلية ، كما يقضي ادب الضيافة والكياسة تجاه اخوانه في بغداد . لا سيما وقد اصبح موضع احترام جميع رجال الاحزاب ومودتهم . وليس معنى هذا انه يجب ان يقف مكتوف اليدين دون ان يعمل شيئا لفلسطين ، فانه على عكس ذلك اخذ يتصل بجميع الشخصيات من سمو الامير عبد الاله الى الوزراء والنواب والوطنيين على اختلاف مشاربهم ، يتبادل

معهم الرأي في القضية الفلسطينية خاصة والقضايا العربية عامة . (وقد تمكن سماحته بمناسبات عديدة من التوفيق بين بعض رجالات العراق وعلى الاخص بين حزبي نوري باشا السعيد وتوفيق باشا السويدي) . وكان سماحته يستطلع آراء الجميع ويدونها عليه يصل بعد الاستقصاء الى رأي سديد يقف عنده ويدعو اليه . وقد توصل سماحته بعد الدراسة العميقة الى النتائج الآتية

١ ـ هناك طبقة من ساسة العراق تجري في سياستها مع بريطانيا العظمى في الباع والذراع بدون قيد ولا شرط ، فان تعارضت مصلحة العراق والبلاد العربية مع مصلحة بريطانيا ، فانهم يضغطون على المصلحة الاولى لتطابق الثانية باي شكل وبدون ادنى تردد او مساومة . وفي طليعة هذه الطبقة السادة نوري السعيد وصالح جبر وشاكر الوادي . ثم يأتي بعدهم طبقة اكثر تحفظا ولكنها تمالي بريطانيا بالاندفاع نفسه اعتقادا منها ان مصلحة العراق تقضي بذلك ، وتتألف من السيدين توفيق السويدي وجميل المدفعي .

٢ ـ وهناك ايضاً طبقة من السادة الوطنيين لا ينظرون الا الى مصلحة العراق ومصلحة البلاد العربية . وهي تتألف من اخلص رجال البلاد العربية وتريد ان تحرر العراق والبلاد العربية من يد الاستعمار وان تغتنم كل فرصة ممكنة للوصول الى هذا

الهدف . وفي طليعة هذه الطبقة السيد رشيد عالي الكيلاني ، وناجي باشا السويدي والسيد ناجي شوكت ويونس السبعاوي ومحمود الشيخ علي وموسى الشاه بندر وغيرهم من رجالات العراق المشهود لهم بالاخلاص والوطنية . ولم يكن يهم هذه الطبقة الا ترقب الفرص لتحقيق حرية العراق والبلاد العربية وكانت تعتقد ان الحرب هي احدى هذه الفرص . فعلى العرب ان لا يتركوا هذه المناسبة تفلت من ايديهم اذا ارادوا الخير لاوطانهم . وكانوا دائما يشيرون الى ما فعله الحلفاء في الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ــ١٩١٨ ، من التنكر للعرب وعدم الوفاء بالعهود . ويقولون بلزوم إحكام الأمر في هذه المرة لكي لا تقع الامة العربية فيما وقعت فيه في ايام المغفور له الملك حسين ، البريطانيين بل الحلفاء كلهم ماديون لايفهمون السياسة الا من وراء مصلحتهم ، لذلك يجب الاستفادة من فرصة الحرب لمساومتهم وانهاء المشاكل التي زجوا بها الامة العربية منذ سنة ١٩١٨ . ومن هذه المشاكل مشكلة فلسطين اذ ان اللورد بلفور ، وكان آنئذ وزيراً للخارجية البريطانية في وزارة لويد جورج ، تعهد للدكتور حاييم وايزمان باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ثمنا لبعض التجارب الكيماوية التي تقدم بها العلامة اليهودي في سبيل المجهود الحربي للحلفاء واهمها اكتشاف نوع من المتفجرات التي

كان هؤلاء بحاجة قصوى اليها وأبى وايزمن ان يقبل مقابل عمله شيئا من المكافأة ، واقتصر على طلب واحد وهو اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين فاجيب الى طلبه (١) .

ومن المشاكل ايضا المعاهدة البريطانية العراقية التي كبلت العراق بقيود استعمارية سياسية وعسكرية واقتصادية ، فضلا عن احتلال فرنسا لسوريا ولبنان ورزوح اكثر البلاد العربية تحت نير الحلفاء البغيض .

وكان رشيد بك الكيلاني وناجي بك شوكت من الرجال الذين يجزمون بلزوم الاستفادة من هذه الفرصة الوحيدة ، وهي الحرب وحرج حالة الحلفاء تجاه المحور ، لتخليص اكثر ما يمكن من حقوق الامة العربية . وكانوا لا يشكون مطلقا بانه اذا انتهت الحرب فستضاعف العقبات كثيرا في سبيل استعادة الحقوق المهضومة رغم ادعاء الحلفاء بانهم يحاربون في سبيل الديموقراطية ضد النازية الغاشمة . فان هذه الديموقراطية لا تتعدى حدود دول الحلفاء انفسهم ، اذ ان الدول العربية في نظر هذه الدول خارج نطاق البحث ، فلا يضمر لها الحلفاء خيراً مما يضمر لها المحور . وعلى البلاد العربية ان تتدبر امرها لتحصل في هذه الفرصة التي قل ان يجود بها الدهر مرة ثانية ، على اقصى ما

(١) راجع مذكرات لويد جورج التي نشرت عام ١٩٣٨ .

يمكنها الحصول عليه ، فتساوم بريطانيا وفرنسا على استقلال فلسطين وسوريا ولبنان وتعديل المعاهدة البريطانية العراقية ونيل اقصى ما يمكن نيله من الحقوق لاهالي الكويت وبقية اجزاء الجزيرة العربية وذلك قبل الانتهاء من هذه الحرب العالمية الثانية والا ذهبت الفرصة ولا يعلم الا الله متى تعود ثانية.

وكان مما يحز في نفوس هذه الفئة ما تراه من اهمال الحلفاء للعرب اهمالا تاما ، بسبب موقف بعض ساسة العرب الذين يرمون انفسهم بدون قيد ولا شرط تحت اقدام الحلفاء ، مما حملهم على ان لايقيموا للامة العربية ادنى وزن دولي في حين ان لتركيا قيمة عظيمة لدى الحلفاء والمحور على حد سواء ، فقد تمكنت من تبوؤ مركز ممتاز بسبب وقوفها موقفا محايدا من الكتلتين ، كل واحدة منها تريد استرضاءها بمختلف الطرق . وتركيا تجني الفوائد من الجهتين وتجمعها لصالحها هي دون غيرها ، مع العلم ان لتركيا مركزا جغرافيا ممتازا بين الكتلتين اتاح لها استغلاله أتم استغلال . اما العرب فقد عاملهم الحلفاء اسوأ معاملة ، واعتبروهم كمية مهملة ، بسبب هذا الموقف الغريب الذي يقفه ساستهم من جلاديهم ، دون ان يقفوا موقفا جديا ويثبتوا وجودهم وان لهم كرامة وشخصية يجب رعايتها واحترامها واعتبار الامة العربية من الامم الحرة التي يحق لها ان تحصل

على استقلالها وحريتها وتدافع عن مصالحها كسائر الامم .

ويجب ان نقول انه لم يكن لهذه الفئة الاخيرة ميل خاص لاحدى الكتلتين المتقاتلتين ، لان العرب يعرفون تمام المعرفة ان المحور لا يقل تعسفا واستعمارا عن الحلفاء ، وان المانيا وايطاليا من الدول الفارقة حقا في الاستعمار وانه لا يرجى منهما انتصار لحق الشعوب المظلومة وبالاخص للامة العربية ، وان كل ما هنالك هو الاستفادة من الوضع الدولي لتحسين وضع العرب وايجاد مركز لهم ووزن دولي يجعلهم محترمين في بلادهم احرارا في تدبير شؤونهم الخاصة فيعيشون اعزاء ضمن حدودهم لا اذلاء مستعبدين للاجنبي في عقر دارهم .

وسنرى فيما بعد ان رجال هذه الفئة كانوا اقرب للاتفاق مع الحلفاء على هذه الشروط وانهم كانوا يخشون المحور اكثر من خشيتهم للحلفاء أنفسهم ، جريا على المثل العربي القائل « النحس الذي تعرفه احسن من السعد الذي تريد ان تتعرف عليه » .

سياسة نوري باشا السعيد وطبقته .

لا بد لنا ان نقول ان نوري باشا السعيد ، وهو السياسي المحنك ، كان بامكانه ان يلعب احسن الادوار والبقها فيتفق مع السيد رشيد عالي الكيلاني على سياسة من شأنها مساومة

بريطانيا من جهة ، على ان يستفيد هو (اي نوري السعيد) من تشدد الكيلاني للحصول على مزيد من حقوق العرب ، كما فعل المرحوم جلالة الملك فيصل في ابان عهده في العراق مع ياسين باشا الهاشمي . فقد كان فيصل يساوم الانكليز ويساير هم ، بينما كان يدفع المعارضة المتطرفة التي كان يرأسها المرحوم الهاشمي باشا ، الى زيادة من المطالب الوطنية ، بل كان يدلها على نقط الضعف التي يمكن منها مهاجمة الملك بالذات والحكومة القائمة معه ، حتى يقول للانكليز : « اني اريد ان أسير معكم كما تريدون ولكن ها كم المعارضة تشتد ، فمن المصلحة مراعاة خاطرها ومداراتها باعطاء البلاد بعض المطالب لكي لا تشتد هذه المعارضة وتخلق المشاكل للحكومة البريطانية والحكومة العراقية معا » .

هكذا كان يفعل فيصل العظيم مع المعارضين او مايسمونهم المتطرفين . فكانت كارثة الامة العربية عظيمة بوفاة هذا العاهل الكريم الذي كان الجميع يتوقعون خير النتائج على يديه .

واما في عهد سمو الامير عبد الآله فان حكومة نوري باشا اتخذت موقفاً غير هذا الموقف تماما . وموقفها مما لأة الانكليز بدون قيد ولا شرط ، وعلى الوطنيين ان يذعنوا لهذه السياسة . فالانكليز قوم نكبوا اليوم امام المحور وتمر عليهم أيام سوداء

تجعلهم في محنة شديدة لم يروا مثلها في تاريخهم القريب او البعيد. فعلى الامة العربية ان تقف موقف الصديق الحميم او الجنتلمان المثالي ، فلا ترهقهم في طلب ولا تلح عليهم حتى ولو بأدب . وان الانكليز لقوم أوفياء ، ولاشك انهم سوف يحمدون للعرب هذا الموقف فيما بعد فيكافئونهم على ذلك اضعافاً مضاعفة . فلنترك إذن قضية تعديل المعاهدة العراقية البريطانية وقضية فلسطين وقضية سوريا ولبنان وباقي القضايا العربية الى ما بعد الحرب ، بل الى ما بعد ان تنتصر بريطانيا وحلفاؤها ، فان هذا أجدى لمصلحة العرب وأربح .

والآن فلنسر مع التاريخ لنرى كيف طبق نوري السعيد باشا هذه السياسة الخاطئة ، وتصلب في تطبيق سياسته وأخلص لبريطانيا العظمى كل الاخلاص اعتقاداً منه انها لا بد أن تعمد الى منح العرب جميع مطاليبهم بعد الانتهاء من تصفية الحساب مع المحور ...

سياسة نوري باشا بعد اعلان الحرب الثانية .

في الثالث من أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٩ ، أعلن الحلفاء الحرب على المانيا بعد انذارهم لها بالانسحاب من بولونيا ، فعمد نوري باشا لقطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا في الحال وبدون اعطاء مهلة لساسة العراق للتشاور في الامر والتفكير

في عواقبه . وعلاوة على ذلك فانه سلّم لحكومة الهند جميع الرعايا الالمان الموجودين في العراق مع انه كان من الممكن ان يلجأ الى طريقة أفضل من هذه فيدعوهم لمغادرة البلاد كما تفعل الامم المستقلة في مثل هـذه الظروف ، ولا لوم عليه في ذلك ولا تثريب . ولكنه زيادة في إظهار الاخلاص لسياسته ، أبى إلا ان يقدم للحكومة البريطانية أقصى ما يمكن من البراهين على إخلاصه والتمسك بارضائها ارضاءً تاما مطلقا ، فسلّم الرعايا الالمان الموجودين في العـراق الى جلاّديهم مع انه كان بامكانه ان يتركهم يعودون الى ديارهم او ان يعتقلوا في العراق نفسه . ولقد تسرع نوري باشا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا ليقطع الطريق على كل معارض في هذا السبيل وليضع البلاد امـام الامر الواقع ، حتى لا تحصل مشادة أو أخـذ ورد في هذه القضية . وقد حزّ هذا العمل في نفوس الوطنيين من العرب في سائر البلاد العربية ، ذلك لانهم كانوا ينتظرون من العراق ان لا يسرع لتقبيل اليد التي ما فتئت تنهال بالضرب على رؤوسهم وتسومهم في العراق وفلسطين ومصر وسائر انحاء الجزيرة انواع الظلم والوان الاستعباد ، خصوصاً وقد كان العراق اكثر البلاد العربية اندفاعاً في سبيل فلسطين ابان ثورتها سنة ١٩٣٦ـ١٩٣٩ ولمّا ينقض على هذه الثورة وأعمال الانكليز في الارض المقدسة

أمد مذكور ، حتى يسارع رئيس الوزارة نوري باشا بمسايرتهم لهذه الدرجة . وقد أحدث هـذا الامر اثره العميق في نفوس الوطنيين ، ولكنهم سكتوا على مضض ، لان الرجوع عنه بعد وقوعه يؤدي الى نتائج سيئة ، بينما كان بالامكان التباطؤ عنه في اول الامر والمماطلة ، حتى يتمكن العراق من المساومة عليه لقاء ثمن باهظ يعيد للعراق خاصة وللامة العربية عامة كثيراً من الحقوق المفقودة .

وكان نوري باشا فيما سبق يستند على الجيش العراقي وضباطه في تنفيذ سياسته غير ان هؤلاء الضباط أنفسهم أخذوا يترددون في تأييد الباشا ويشكون في سداد سياسته وأخذوا يلتمسون وسيلة يعبّرون بها عن آرائهم الى ان تمكنوا من اكتشاف الفئة من الساسة التي تشترك معهم في هـذا الرأي . وهكذا تمكنوا من الالتقاء بالسيد رشيد عالي الكيلاني . والسيد رشيد على معرفة تامة بالعراق وأهله وبالسياسة الدولية ، وكان رئيساً للبلاط الملكي في بغـداد ، فأخذ ضباط الجيش يلتفون حوله ويناشدونه السعي للخروج من سياسة الجمود الى سياسة العمل المجدي في تحقيق الاهداف القومية . ومن ثم أخذوا يضغطون على حكومة نوري باشا لتحل محلها حكومة طـه باشا الهاشمي في ابتداء الامر ، ثم حكومة السيد الكيلاني فيما

بعد وذلك لان طبيعة الهاشمي كانت لاتقبل الحركة والتنفيذ ، بل كانت جامدة « تعد في مكانها » لا تريد أن تتقدم شعرة ولا ان تتأخر اخرى . في حين أنه كان هدف هؤلاء الضباط العسكريين تغيير هذا الحال والاستفادة من الظروف الدولية بأسرع ما يكون .

ها نحن الآن في منتصف عام ١٩٤٠ وقد احتلت المانيا بولونيا وهولندا وبلجيكا والنروج وانتصرت على فرنسا ووصلت قوات المحور الى الحدود المصرية ولم يبد على سياسة العراق أدنى تغيير . نعم ان الحرب في أولها ولكن الامة العربية لا تزال نائمة نوم أهل الكهف ، كأن كل ما يحصل في العالم لا يعنيها . ومن الغريب ان نوري باشا السعيد نفسه اخذ يتردد في سياسته ، فقد سافر في هذه الاثناء الى مصر لدرس الحالة على حدود ليبيا ، فرجع واسرّ للكثيرين ان الحالة هناك خطرة جداً وان المارشال غراسياني يحشد جيشاً لا يقل عن ٢٥٠ الفا ، بينما ليس لدى خصمه الجنرال ويفيل اكثر من ثلاثين الفا . ولقد تجاوز الباشا هذا الحد ، فكان يقول لاخوانه : « أوليس بين العرب اناس يذهبون الى المحور ويفاوضونه ؟ » وبالفعل فقد فاوض الباشا احد الفلسطينيين المعروفين م . ع . للسفر الى اوروبا والاتصال برياسة المحور ووقع على الرجل الاختيار ،

ولكن ظروفاً شخصية طارئة أخرته عن السفر ... وكان الوطنيون يعرفون ذلك ولكنهم كانوا لا يثقون بنوايا نوري باشا ويخشون انه لا يريد بذلك إلا اكتشاف امر الذين اتصلوا مع المحور فظلوا بعيدين عن الدخول معه في خطة ما بهذا الصدد. ثم سافر توفيق باشا السويدي الى مصر ليجتمع مع المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية وقد اجتمع به وباحثه بلزوم اعادة النظر في حقوق البلاد العربية وتحسين الوضع فيها، وكان جواب المستر ايدن سلبياً للغاية ...

سماحة مفتي فلسطين الأكبر

لقد ذكرت ان سماحة الحاج أمين الحسيني كان مصراً عند مجيئه الى العراق على عدم التدخل في سياسة العراق الداخلية وقد اصر على وضعه هذا. غير ان اخوانه من العراقيين ما لبثوا ان دعوه الى مشاركتهم في الابحاث السياسية في الحقلين الداخلي والخارجي ورجوه أن يحل ما بينهم من الاختلافات التي نشبت بين حزبي نوري باشا السعيد والسيد توفيق السويدي، فتمكن سماحته من حل هذه الخلافات التي أدت في وقت من الاوقات الى توقيف بعض رجال حزب السويدي باشارة من نوري باشا السعيد ...

لقد جاء سماحته العراق وهو يرى ان الحرب قد وضعت حداً

للاعمال الثورية في فلسطين بعد قتال دام ثلاث سنوات وثورة دامية كان يديرها بمهارة من معتقله بقرية الذوق في لبنان، استعملت في أثنائها السلطة البريطانية انواع الشدة والعنف ضد المجاهدين العرب، فنسفت القرى وحكمت بالاعدام والسجن المؤبد على مئات من المجاهدين، وعمدت الى تعذيب الكثيرين منهم، وكان من المنتظر وقد ركن العرب الفلسطينيون الى الهدوء والسكينة، ان يكون هنالك هدنة من طرف الانكليز أنفسهم فيوقفون أعمال الانتقام من جانبهم ضد العرب ويتقدمون بشروط ملائمة لحل القضية الفلسطينية على ضوء الحوادث الدولية الجديدة.

ولكن البريطانيين استمروا على سياستهم في الضرب على أيدي المجاهدين وتابعوا احكام السجن والاعدام بلا شفقة ولا هوادة، فلم يرسماحته بدأ من مراجعة الحكومات العربية عامة وحكومة العراق خاصة، وأخذت الوفود ترد زرافات على السفارة البريطانية في بغداد للتوسط لدى حكومة فلسطين للكف عن سياسة الانتقام ولوضع حد لمآسي احكام الاعدام والسجن، وأخذت الصحافة تدبج المقالات بهذا الخصوص ولكن بدون

سماحة الحاج امين الحسيني
مفتي فلسطين الاكبر ورئيس الهيئة العربية العليا

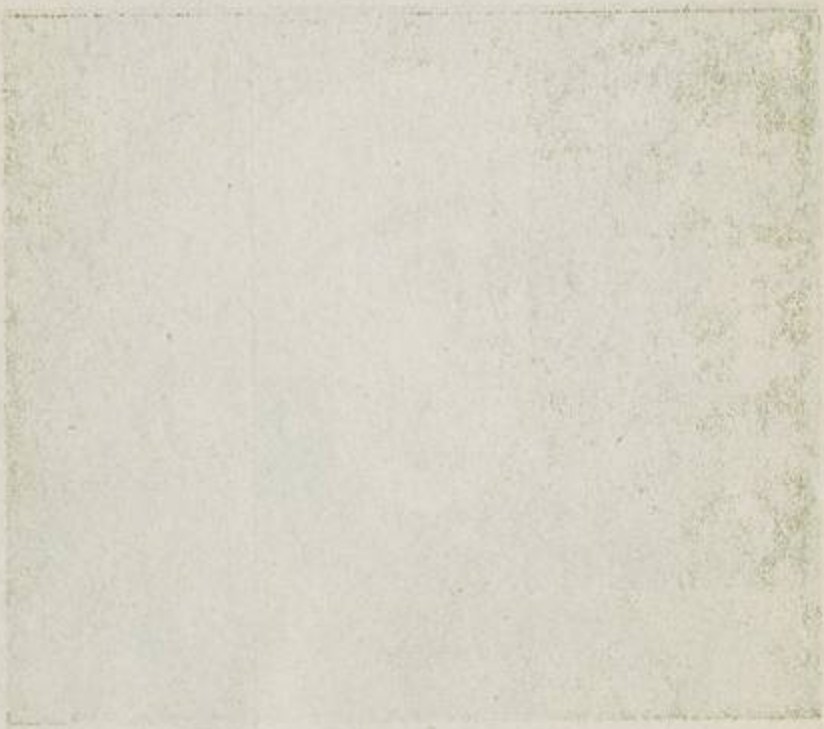

جدوى . وفي أوائل سنة ١٩٤٠ حكم على أحد المجاهدين في يافا وهو المرحوم السيد خليل ابولبن بالاعدام ، فأخذ سماحته يسعى لدى الحكومة العراقية لتتوسط لدى السفارة البريطانية سعياً وراء تغيير هذا الحكم الجائر .

وفي احدى ليالي يناير سنة ١٩٤٠ جاءني خادم سماحته حول منتصف الليل وكنت نائما ، فطلب مني أن اقابل سماحته ، فوجدته يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وعلامات الاضطراب بادية عليه وبيده برقية من يافا من دار ابو لبن ، يرجون فيها من سماحته بذل مجهود جبار لتغيير حكم الاعدام على السيد خليل ابو لبن ولو بالسجن المؤبد . وكان سماحته في النهار قد بذل مجهوداً كبيراً بهذا الخصوص بدون جدوى . ومع ذلك فقد قرّ القرار على القيام بمجهود آخر لدى نوري باشا السعيد والسيد رستم حيدر ، في اليوم الثاني ، وهكذا كان . واتفق سماحته مع نوري باشا على الاجتماع عند أحد الاصدقاء بمناسبة وليمة يقيمها ، وانتظر سماحته نوري باشا حتى اذا حضر تحدث اليه مليا وطالبه بالاحتجاج على هذه الحالة في فلسطين فسكت الباشا ثم قال : « سوف يحضر الآن رستم حيدر فاذا جاء نستطلع رأيه في الامر . » ولما حضر السيد رستم بادره نوري باشا بقوله : « إن سماحة المفتي يطلب مني الاحتجاج لدى الحكومة البريطانية على

الاحكام الصادرة في فلسطين مجدداً ضد المجاهدين العرب ، فماذا ترى يا رستم ؟ فابتسم رستم وقال : « اذا فعلت يا باشا فستكون في نظر الانكليز الحاج امين الثاني » فبهت سماحته وامتقع لونه ، وسكت نوري باشا ولم ينبس ببنت شفة وتنفس الصعداء ولسان حاله يقول : « أيفتي ورستم في بغداد ؟ »

وحاول سماحته ان يحمل بعض الحاضرين على تغيير موقف الرجلين ، ولكن بدون جدوى ايضا . وكان الجميع يعتقدون ان لا نوري باشا ولا السيد رستم حيدر يقدمان على اتخاذ مثل هذا الموقف تجاه الانكليز . احتجاج ؟ أعوذ بالله . فان هذا ربما يزعج السفير البريطاني ، فالاحسن عدم اثارة هذا الموضوع .

منذ تلك الليلة حصل انقلاب قوي في نفس سماحته وتيقن ان الامة العربية مهددة بالهلاك اذا انفرد أمثال هذين الرجلين ، نوري ورستم في ادارة سياستها . وأخذت أواصر المودة تتوثق بينه وبين السيد رشيد عالي الكيلاني . ومن الجدير بالذكر انه نفذ الحكم بالاعدام على السيد خليل ابو ابن وعلى كثير من المجاهدين الميامين رحمهم الله أجمعين .

والغريب ان سماحته كان يرى مع رشيد بك وجماعته ضرورة الاتصال بالمحور ، ووقع اختياره هو ايضاً على الشخص نفسه الذي أراد نوري باشا ارساله لمفاوضة المحور . ولكن الشخص

المذكور أخذ يماطل عدة أشهر ، فصرف النظر عنه . وكان سماحته يطلب مني السفر باسم رشيد بك ولكني حاولت التربص حتى لا يكون هناك تراحم بيني وبين الشخص المذكور ، وعندما لم يبق ادنى امل في سفره ، وألح علي سماحته بالسفر ولم أجد سبيلا للاعتذار ، صدعت بأمره الكريم .

الحالة في العراق قبل سفري الى اوروبا . . .

كان رشيد بك لا يزال حينئذ في البلاط الملكي ، ولكنه أخذ يشعر بقوته وذلك بسبب تحول ضباط الجيش عن نوري باشا والتفافهم حوله . وكان يجتمع اليهم ويتباحث معهم في الشؤون الحاضرة ، فقر رأيهم هم أيضاً على ايجاد علاقة مع المحور . ولكن ذلك يتطلب سياسة جديدة من التقرب تجعل لهذا الاتصال فائدة عملية . وعندما دخلت ايطاليا الحرب الى جانب المانيا قبيل انتصار هذه الاخيرة على فرنسا ، أسرع نوري باشا ليكرر مع ايطاليا ما أقدم عليه من قطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا . ولكنه وجد هذه المرة سداً منيعاً يحول دون سياسته . فكان هناك صراع شديد حاول فيه السيد رشيد إقناع نوري باشا ، بعدم قطع العلاقات مع ايطاليا ، وبضرورة مساومة بريطانيا في هذا الامر ، ولكن كانت محاولته عبثاً . وكان

السفير الايطالي المسيو غبريالي يشهد هذا الصراع الشديد بين السياستين واتصل رشيد بك، وقد اصبح رئيساً للوزارة آنئذ، بالسفير الايطالي وأخذ منه التصريح التالي الذي أصبح فيما بعد موضع مباحثات بيني وبين الحكومتين الالمانية والايطالية، وهـذا هو التصريح :

Bagdad, 7th July 1940

R. Legazioni d'Italia

Dear Excellency,

H. E. Count Ciano, Italian minister for foreign affairs, has instructed me to inform your Exellency that, coherenthy with the policy so far followed, Italy aims at ensuring the complete independence and the territorial integrity of syria and the Lebanon as well as of Iraq and the countries under British mandate.

In consequence, Italy will oppose any eventual British or Turkish pretension for territorial occupation whether in Syria, Lebanon or in Iraq.

Believe me dear Excellency, yours sincerely Gabbriell

وهذه ترجمته :

عزيزي صاحب الفخامة.

قد أمرني معالي الكونت شيانو وزير خارجية ايطاليا، ان ابلغ فخامتكم ان ايطاليا، طبقاً للسياسة المتبعة حتى الآن، ترمي الى تأمين الاستقلال التام والاحتفاظ بالكيان السياسي

لكلٍ من سوريا ولبنان والعراق والبلاد التي تحت الانتداب البريطاني . ولهذا فان ايطاليا ستقاوم كل ادعاء بريطاني او تركي لاحتلال الاراضي، سواء كان ذلك في سوريا او لبنان او العراق.

وتفضلوا بقبول خالص تحياتي

التوقيع (غابريالي)

ومما هو جدير بالذكر ان رشيد بك لم يطلب من الطليان شيئاً بخصوص تركيا ، ولكن الطليان تبرعوا من تلقاء انفسهم ، اذ كانوا يضمرون لها من البغض منذ زمان الغازي « مصطفى كمال باشا » (اتاتورك) .

ورغم هذه الحوادث فقد احتفظ رشيد بك في وزارته ، بالسيد نوري السعيد باشا وزيراً للخارجية وسعى جهده لحمله على توحيد المساعي معه لتوجيه السياسة العراقية ولكن ذهبت جهوده ادراج الرياح كما سنرى فيما بعد .

وفي تلك الأثناء كان العراق يعاني ازمة اقتصادية ، إذ ان الالوف من اطنان التمور كانت مكدسة في البصرة بدون مشترٍ لها ، وكانت انكلترا تمانع في بيعها لاية دولة لها علاقة بالمحور ، وهي في الوقت نفسه لا تتقدم لمشتراها ، حتى تدنت اسعار التمر بصورة غريبة بينما كان الحلفاء يشترون من تركيا الزبيب والتين والتبغ بأسعار فاحشة ، ويفتحون الاعتمادات

لتركيا بمئات الملايين من الجنيهات الانكليزية ، مع ان تركيا بقيت تتعامل مع المحور وتستفيد من الطرفين الى اقصى حد ، مما قوّى الاعتقاد لدى الاخوان في بغداد ، ان العرب ما داموا يتمشون على سياستهم هذه فلن يكون لهم ادنى وزن دولي ، وسوف تقابل أمانيهم بالاهمال وعدم الاكتراث .

الاستعداد للسفر ...

أخذت أستعد للسفر في اوائل شهر تموز ١٩٤٠ . وكان من الضروري ان اكتم سفري بقدر الامكان ، عن دوائر الاستخبارات البريطانية وعن السلطات الافرنسية في سوريا . فطلبت من رشيد بك جوازاً عراقياً باسم مستعار ، فمُنحت هذا الجواز باسم (توفيق علي آل شاكر) ...

وقد أرسل رشيد بك الى أخيه سفير العراق في انقرة السيد كامل بك الكيلاني برقية شيفرة يوصيه فيها بلزوم الاهتمام بأمري وتسهيل مهمتي ، ووعدني بأن ينتدب ناجي بك شوكت للسفر الى انقرة ليكون على اتصال بي وانا في برلين .

سافرت في آخر تموز الى انقرة عن طريق حلب ، وزرت كامل بك الكيلاني واخبرته بمهمتي وتذاكرت معه في جميع الشؤون فكان رأي كامل بك التريث وعدم التهور ، فوافقته على ذلك

وطلبت منه تسهيل اجتماعي مع سفير المانيا في تركيا «فون بابن».

ثم سافرت الى استامبول وانتظرت فيها رجوع «فون بابن» من المانيا. فلما رجع في منتصف شهر آب، تمكنت من مقابلته وابرزت له كتاباً من سماحة المفتي الاكبر يؤكد له فيه ما جاء في كتابه الاول الذي ارسل مع السيد ناجي شوكت من قبل. وخلاصة هذا الكتاب ان سماحته بالاتفاق مع بعض رجال السياسة في البلاد العربية، أوفدني الى برلين وروما للمباشرة بمفاوضة المحور على اسس معينة. وسردت لفون بابن تلك الاسس (وسيأتي تفصيلها فيما بعد) فوعدني بالمساعدة وسرد لي ما كان له من اليد الطولى في القضية العربية في اثناء الحرب العالمية الاولى وانه اول من أشار على الاتراك العثمانيين بمراعاة جانب العرب وتلبية مطاليبهم المعتدلة، ولكنهم أبوا العمل بنصيحته. وقد كان فون بابن حينئذ متصلا بالقيادة الالمانية في فلسطين واستانبول. ثم أفهمني انه سوف يتبنى شخصياً هذه القضية التي يحبها. فأجبته بأننا نعول كثيراً على اهتمامه وصداقته واننا نقدر مساعدته الثمينة لانها صادرة عن شخصية من اعظم شخصيات السياسة الدولية في العصر الحاضر.

ودار الحديث عن قوة العراق العسكرية، فقلت له مبالغاً، لانه لم يكن من المصلحة الادلاء بالمعلومات الحقيقية عن الجيش

العراقي: انه في زمن السلم حوالي مائة الف مقاتل بينهم ١٥ الف شرطي لايقلون مقدرة عن الجنود النظاميين، وان العراق حين يجد الجد، يمكنه ان يجند ٤٠٠ الف مقاتل اذا توفرت لديه الاسلحة الكافية، لان هناك رجال القبائل الذين هم في الواقع من احسن الطبقات المقاتلة ولان العربي جندي بالفطرة، وهم مثل قبائل مراكش والريف والسنوسيين بقوتهم وبأسهم.

وانتقل فون بابن في حديثه الى موقف تركيا واشتكى من الدعاية فيها ضد المانيا، وسر لما أفهمته ان الناس في العراق والبلاد العربية يقبلون على سماع الراديو الالماني بكل شغف ونحمس. وفي اثناء بيان مطاليبنا شعرت من لهجة تعليقاته انه يفرق بين وضع سوريا ولبنان، واهتم لوضعية الملك ابن السعود وفيما اذا كان يقرّ ما يريده العراق، فقلت له ان العلاقات طيبة جداً بين العراق وبين جلالته، لان العراق وعلى رأس حكومته السيد الكيلاني لا يريد لنفسه شيئاً بل يريد استقلال البلاد العربية، على ان تنضم هذه البلاد المستقلة الى حلف عربي فيكون الحلف بمثابة مجموعة حكومات مستقلة متحدة فيما بينها، وانه بهذا الحل لم يعد اي تدخل في امور كل من البلاد التي تدخل فيه من الوجهة الداخلية، وانه سيكون هناك اتفاق على السياسة الخارجية والدفاع وتوحيد الجمارك والثقافة الخ...

فوعدني بارسال برقية شيفرة الى وزارة الخارجية الالمانية يعلمها بقدومي ويوصيها بتسهيل سفري عن طريق المجر (بودابست) ويسرد لها جميع النقط التي أبديتها له مع لائحة مختصرة من مطاليبنا . واتفقنا على ان اسافر بعد ورود الجواب .

ولم تمض مدة قصيرة حتى جاء جواب برلين بالموافقة على سفري . فسافرت الى برلين عن طريق بودابست وهناك أخذت تذكرة مرور من المجر الى برلين تحت اسم « ماكس موللر » .

وفي برلين نزلت في بانسيون مدام فون سودو رقم ٦ شارع Winterfeldstr وللسيدة المذكورة صلة بالحكومة الالمانية ولها المام في سياسة المانيا ، وهي سيدة مسنّة عاشت في النمسا اكثر عمرها . ومن الغريب انها كانت دوماً غير مطمئنة لسياسة المانيا الخارجية وكانت في سنة ١٩٤٠ رغماً عن انتصارات المانيا الباهرة متشائمة من النتيجة ومرتابة بسياسة روسيا تجاه المانيا ، وخائفة في الوقت نفسه على المانيا من الولايات المتحدة . وكان يزورها اميرال الماني كان سابقاً استاذاً للبحرية في احدى جامعات بلاد الرين ، وكان حر التفكير وغير مطمئن هو ايضاً للحالة على الرغم من ان المانيا كانت في اوج انتصاراتها .

وبعد استراحتي في برلين ، ذهبت الى وزارة الخارجية في ويلهلم شتراسه ، وقابلت الهرّ فريتس غروبا سفير المانيا السابق

في بغداد ، والهر ملشز مدير القسم الشرقي في وزارة الخارجية، وقد أعربا عن ارتياحهما لتحسن العلاقات ونسيان الماضي ، فأكدت لهما ان العراق أخذ على غرة في انقطاع العلاقات وان ذلك لا يطابق حقيقة العواطف الطيبة التي يكنها العرب في العراق وسائر البلاد العراقية نحو المانيا . ثم زرت السكرتير الاول الهر فرايهرفون وايزيكر ، فطلب مني قبل الالتقاء بوزير الخارجية ، ابتداء المحادثات مع الهر « غروبا » فسألني هذا عن مطاليب اخواني ، فبسطتها له . وأبدى الهر « غروبا » اهتماماً كبيراً ودعاني عدة مرات لزيارته في داره ، وهو متزوج من سيدة المانية من القدس . فكانت تطلب مني ان اهتم برجوع زوجها الى بغداد مؤكدة لي انه سوف يكون عوناً للعرب في قضاياهم السياسية . وأطلعني الهر « غروبا » على بعض رسائل وردت للخارجية من فون هانتيج ، سفير المانيا سابقاً في الافغان والموجود في ذلك الوقت في سوريا ولبنان . والتقارير كانت ضدنا على وجه الاجمال وضد سماحة المفتي ورشيد بك وشكري بك القوتلي . وكان « فون هنتيج » من القائلين بعدم الفائدة من الاتفاق مع العرب ، وانهم لا يمكنهم ان يعملوا شيئاً ولو أرادوا ذلك . وفهمت أنه بفضل سياسة الاتصال بمختلف الاحزاب في البلاد العربية واعطاء الوعود لهم جميعاً حتى يعتقد

كل حزب بأنه هو المعنى به . وكان الهر غروبا يكره الفون هنتيج كرهاً شديدا ، فرأيت من المناسب ان اكتب الى كامل بك الكيلاني في انقرة لابسط له موقف فون هنتيج ، فكتبت اليه رسالة ورجوته الاتصال بفون بابن ليضع حداً لهذه الحالة وكتبت رسالة اخرى الى المرحوم الامير شكيب ارسلان جعلت مصدرها من بغداد . فجاءني الرد بأنه سأل الالمان ، فأجابوا بأن هذه اشاعات لا اصل لها . غير اني لم أتمكن من اخباره عن مصدر معلوماتي خوفاً على الهر « غروبا » . وقد دبّجت مع الهر « غروبا » مطالبنا وعدّلت بعضها على ضوء ارشاداته . وهذا هو التصريح الرسمي الذي طلبته من المحور بخصوص السياسة التي يجب ان تتبع إزاء البلاد العربية :

ان المانيا وايطاليا تعلنان رسمياً سياستهما النهائية بخصوص البلاد العربية وتتعهدان باحترام هذه السياسة وتأييدها وفقاً لما يلي :

١ — ان المانيا وايطاليا تعترفان بالاستقلال التام للبلاد العربية المستقلة الآن ، وبالاستقلال التام للبلاد العربية التي هي تحت الانتداب الافرنسي (سوريا ولبنان) وبالاستقلال التام للبلاد العربية التي هي تحت الانتداب الانكليزي (فلسطين وشرق الاردن) او التي هي مستعمرات او محميات بريطانية

(كالكويت ، وعمان ، ومسقط ، وحضرموت . أما عدن وهي الجزء الجنوبي من اليمن فانها سوف تعود لاحضان المملكة اليمنية المستقلة) وبالاختصار فان المانيا وايطاليا تعترفان بالاستقلال التام لجميع البلاد العربية المعروفة انها عربية بأكثرية سكانها .

٢ ـ ان المانيا وايطاليا تعلنان بصورة قاطعة لا مواربة فيها أن ليست لهما اية مطامع استعمارية في مصر والسودان وتعترفان ايضاً باستقلال مصر والسودان التام وذلك وفقاً للمادة الاولى من هذا التصريح . ومن جهة اخرى فان دولتي المحور تعلنان بأن التحفظات التي وضعتها انكلترا على هذين البلدين ، تعتبر لاغية من أساسها .

٣ ـ ان المانيا وايطاليا تتعهدان بعدم اللجوء الى اي اسلوب من الاساليب ضد استقلال البلاد العربية التام . كاسلوب الانتداب الذي اخترعته جمعية الامم بصورة احتيالية بالاتفاق مع الديموقراطيات لاخفاء شهواتها الاستعمارية .

٤ ـ ان المانيا وايطاليا تعترفان للبلاد العربية بحق تأسيس وحدتها القومية حسب رغائبها وبالطريقة التي تراها موافقة ، ولن تعمدا الى وضع العراقيل في سبيل انشاء هذه الوحدة .

٥ ـ ان المانيا وايطاليا وهما غير معترفتين بمشروعية الوطن

القومي الصهيوني في فلسطين ، تعترفان للبلاد العربية بحق ايجاد حل عادل لهذه القضية حسب مصلحة العرب القومية .

٦ ـ ان المانيا وايطاليا لا تطلبان سوى ان ترى الامة العربية متمتعة بالازدهار والاقبال ، وان تتبوأ مكانها التاريخي والطبيعي تحت الشمس ، وهذا لصالح الانسانية جمعاء وفي سبيل تعاون اقتصادي على اساس تبادل المنافع ، وان المانيا وايطاليا تطلبان من البلاد العربية أن تحترم الحالة الراهنة « ستاتو كو » في فلسطين او سواها فيما يتعلق بأملاك الكنائس والارساليات المسيحية ، وحرية تمتع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم باقامة طقوسهم الدينية ورعاية المنشآت الخيرية (المستشفيات ودور الايتام ومأوى العميان) وحرية الاعتقاد في المسائل الدينية .

ملاحظات بشأن هذا التصريح

١٥/٨/١٩٤٠

١ ـ عندما أتينا على ذكر اسماء البلاد العربية التي يجب الاعتراف باستقلالها ، سُئلت عما اذا كانت افريقيا الشمالية تدخل في نطاق البلاد العربية التي يجب الاعتراف باستقلالها حسبما جاء في البند الاول . فأجبت بأنها تدخل حتما . إلا ان الالمان قالوا ان اسبانيا تطمع في ضم مراكش الافرنسية الى

مراكش الاسبانية لان في نيتها تأسيس امبراطورية واسعة . وتقوم الآن بينها وبين المانيا مباحثات معقدة في هذا الصدد ، ومعلوم أن المانيا لها مصالح اساسية في مراكش ولكنها تريد أن تتفق مع المراكشيين على تعاون اقتصادي لاغير بعكس اسبانيا وفي هذه المناقشات فهمت من المختص بمسائل مراكش (وهو الهر كروكر Kreuger) الذي عين قنصلا لالمانيا في تطوان وقد كان يشغل سابقاً مكاناً مهماً في الادارة بوزارة الحربية أن الالمان يلاقون مزاحمة شديدة من الاسبان وتبين لي ان الحالة تشبه تماماً حالة سوريا سنة ١٩١٩ عند تزاحم فرنسا وانكلترا على الانتداب في سوريا ولبنان . وسألوني عما اذا كان بالامكان مساعدتهم لدى المراكشيين لحملهم على الاتجاه نحو التعاون مع المانيا ، فقلت لهم ان ذلك بالامكان على شرط ان تصرحوا رسمياً بسياستكم الحقيقية أيضاً بشأن مراكش ، وعندئذ نسعى بواسطة وفد عربي يذهب الى مراكش للتفاهم مع اخواننا هناك . هذا في الظاهر ، غير اني فهمت ان المساعي تبذل لحل القضية سراً بين المانيا واسبانيا للاستفادة من اسبانيا في الحرب الحاضرة وقطع طريق جبل طارق .

٢ — وفهمت من خلال التحدث مع الالمان ان ايطاليا تنوي أن ترث فرنسا في تونس والجزائر وانهاتهم بالبلدان المتاخمة

لها لتأمين هجرة ابنائها اليها لان طقس الحبشة غير ملائم الهجرة . فأظهرت لهم الامتعاض من هذه السياسة وقلت لهم ان ايطاليا بتعاونها الاقتصادي مع البلدان العربية ، توجد عملاً كافياً لابنائها في ايطاليا نفسها ، فتستغني بذلك عن الهجرة .

٣ ــ ان الاعلان عن سياسة المحور في افريقيا الشمالية غير ممكن الآن خوفاً من حمل العناصر الافرنسية المترددة على الانضمام الى الجنرال ديغول وحركته ...

مطالب المحور من العراق والبلاد العربية

١ ــ لقد طلب الالمان اعادة العلاقات الدبلوماسية بين العراق والمانيا مع تعويض الرعايا الالمان بصورة عادلة . ثم قالوا ان مسألة التعويض في الحقيقة هي معنوية فقط وانها ليست بحدّ ذاتها مسألة بالغة الاهمية .

٢ ــ ان يكون للمحور موقع ممتاز في العراق في المسائل الاقتصادية على شرط احترام مصلحة العراق . والغرض من هذا الموقع الممتاز هو استثمار الموارد الطبيعية كالنفط مثلاً ، لان المانيا وايطاليا تريدان تحويل الامتياز الموجود الآن باسم (I P.C) شركة النفط العراقي ، لحسابهما في شروط الصلح المقبلة .

٣ ــ يحتفظ العراق بحياده التام في الحرب الحاضرة ويتخذ

الاهبة والتدابير اللازمة للمحافظة على هذا الحياد وحض البلاد العربية الاخرى على اتخاذ مثل هذا الموقف .

٤ ــ لما كان ارجاع العلاقات الدبلوماسية من شأنه ان يغيظ بريطانيا ، فمن الضروري ان يتخذ الجيش العراقي التدابير اللازمة للمحافظة على آبار النفط والانابيب والمطارات لصد أي اعتداء ممكن قد يقوم به الانكليز .

٥ ــ إشعال ثورة في فلسطين .

٦ ــ ان يكون للمحور امتياز في المستقبل للغتين الالمانية والايطالية في العراق على غيرهما من اللغات الاجنبية ...

ملاحظات بخصوص هذه المطالب

أ - قضية قطع العلاقات مع المانيا واستئنافها

ان المانيا يهمها استئناف العلاقات الدبلوماسية مع العراق وهي تعد ذلك نجاحاً كبيراً لها في الشرق . ولكني أقنعت وزارة الخارجية بأن إعادة العلاقات في الظروف الحاضرة يعد تحدياً ظاهراً لبريطانيا العظمى (défi ouvert) . فطلبت قبل كل شيء زيادة التدابير العسكرية الاحتياطية لمجابهة أي تعد قد ينتج عن تمكّن العراق من استئناف العلاقات الدبلوماسية مع المانيا .

وسُئلت عما يمكن ان تفعله انكلترة عندئذ ؟ فأجبت ان أقل ما تفعله هو توقيف الصادرات والواردات عن طريق

البصرة ، ومهاجمة العراق من الهند وفلسطين. فقالوا انهم مع موافقتهم لنا على لزوم اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة ، يعتقدون بأن انكلترا لا تجرؤ على ايجاد اضطراب في العراق لانها لاتريد إقفال الطريق على تركيا من البصرة وخلق جبهة جديدة في الشرق ، خصوصاً والعرب يجيدون حرب العصابات ، فاذا كانت هذه بقيادة ضباط نظاميين ومجهزة بأعتدة كافية ، اقترفت العجائب كما رأينا ذلك في فلسطين والريف الاسباني ومراكش. على اننا لا نطلب من العراق سوى الحياد التام ونحن ازاء ذلك نساعد العراق مساعدات كبيرة .

قلت لهم ماذا تعنون بالحياد التام والعراق مرتبط مع انكلترا بمعاهده ؟ قالوا بالطبع من المنافي لهذا الحياد السماح لانكلترا باستعمال طرق المواصلات في العراق لاغراضها الحربية. قلت ولكن مثل هذا الحياد يعد خرقاً للمعاهدة ، ويستوجب كما قلت لكم اتخاذ جميع التدابير الاحتياطية لتقوية السلاح واتخاذ الاهبة ، لان هناك احتمالا كبيراً لحركة عسكرية ضدالعراق. قالوا هذا حق ويمكن الاتفاق على المساعدات الآتية :

أولاً ــ يمكننا ان نمنع عن العراق كل خطر من جانب ايران وتركيا .

ثانياً ــ نرسل الى العراق ما يحتاج اليه من المعدات

العسكرية لتسليحه سلاحاً كاملاً بالطائرات والمدافع الخ . ولما سألتهم عن طريق شحن هذه المواد ، قالوا الجو مفتوح للطائرات الكبيرة واما بقية الاشياء فيمكن الاتفاق على شحنها عبر تركيا بطريق الترانسيت الى ايران والافغان ، وأفضل من ذلك كله ارسال الاسلحة الى العراق عن طريق اليابان كمبيعات اجريت من طرف اليابان نفسها الى العراق المحايدة . قلت لهم هذا اذا لم تقع حرب بين اليابان وانكلترا تدخل فيه الولايات المتحدة وتعرقل السير في هذا الطريق . قالوا سندرس جميع الطرق ونسرع بتنفيذ ما يمكن .

ثالثاً ــ طلبوا ان يتخذ العراق من الآن بصورة سرية جميع التدابير الاحتياطية داخل المملكة للمحافظة على منابع النفط من الانكليز فيما اذا تعدوا على العراق . فكررت طلبي اليهم بلزوم تزويد العراق بالاسلحة اللازمة قبل استئناف العلاقات الدبلوماسية مع الاعتراف بأن العلاقات تعد مبدئياً مستأنفة بين البلدين .

رابعاً ــ وافقوا على مشترى كميات كبيرة من التمور بواسطة ايران واليابان .

خامساً ــ وافقوا ايضاً على تقسيط ثمن المشتريات من الاسلحة والعتاد وفتح اعتمادات على أساس الذهب ، كالاعتمادات

التي فتحتها انكلترا تركيا لمشترى المحصولات التركية .

ب – قضية سوريا .

أفهمتني وزارة الخارجية الالمانية ان مسألة سوريا صعبة جداً وسبب ذلك انه لا يوجد في شروط الهدنة الالمانية – الافرنسية بند يخول المحور حق فرض إرادته بصورة نهائية على البلاد التي تحت الحماية او الانتداب الافرنسي ، وان الموضوع يجب ارجاؤه الى حين عقد الصلح مع فرنسا . قلت لهم ان سوريا يهمنا استقلالها لطمأنة العالم العربي بصورة تامة وفعلية على نوايا المحور ، ثم انكم تبدون اهتمامكم بلزوم ثورة قوية في فلسطين ضد الانكليز . فسوريا ضرورية كنقطة استناد لمثل هذه الحركة لتسهل لنا استيراد الاسلحة والعتاد . فطلبوا مني ان اقدّم رأيي في الطريقة التي يتمكنون بها من مجابهة الافرنسيين بصورة حقوقية ، فوعدتهم بتقديم تقرير لهم بذلك ، ثم قدمته ، وهذا هو التقرير .

التقرير الذي قدمته للمحور بخصوص سوريا ولبنان
(بلاد الشرق الموجودة تحت الانتداب الافرنسي)

إن استقلال سوريا ولبنان يجب تحقيقه للأسباب الآتية :

أولاً – ان فرنسا تزعم أنها ليست موجودة في سوريا ولبنان إلا بوكالة من عصبة الامم . فحسب المادة ٢٢ من ميثاق مجلس العصبة في جنيف ، اعترفت العصبة على كل حال باستقلال سوريا

ولبنان . وان فرنسا موجودة هناك بصورة موقتة لتدريب اهل البلاد على الاستقلال التام الذي لا بد ان يحل موعده يوما .

ثانياً ــ بما ان العصبة لم تعد موجودة في الواقع ، فان موعد تحقيق استقلال بلاد الشرق الموضوعة تحت الانتداب الافرنسي قد حل ويلزم تنفيذه حالا بتسليم الادارة التامة في البلاد لاصحاب الحق الشرعي أي للسوريين واللبنانيين ، وذلك لان فرنسا لم يبق أمامها عصبة امم لتعد نفسها مسؤولة تجاهها بتقديم تقرير مفصل اليها عن اعمالها .

ثالثاً ــ بما أن المانيا وايطاليا لا تعترفان بوجود عصبة الامم لا من الوجهة الواقعية ولا من الوجهة الحقوقية ، فان الانتداب المعطى لفرنسا من طرف هذه العصبة يعتبر لاغياً أو يلزم الغاؤه حالا لمصلحة أهالي البلاد ذوي الحق الشرعي . ان فرنسا لا يمكنها بسبب من الاسباب تأخير اعلان الاستقلال التام لسوريا ولبنان الى حين عقد معاهدة الصلح ، وذلك لان « بلاد الشرق الموضوعة تحت الانتداب الافرنسي » ليست بالمستعمرات الافرنسية ولكنها بعهدة مؤسسة دولية لم يبق لها وجود بالنسبة لالمانيا وايطاليا . لذلك ليس لفرنسا ان تحتفظ بملكية شيء لا يخصها . (اهـ)

وقد أقرت وزارة الخارجية الالمانية بما في هذا التقرير من

حجج قوية تصلح ان تتخذ أساساً لتحقيق استقلال سوريا ولبنان حالا .

ج - قضية المعتقلين والمسجونين والمحكوم عليهم في سوريا من سوريين وفلسطينيين .

ألحت في الاسبوع الاول من أيلول على الخارجية الالمانية بلزوم الاهتمام بحل قضية المعتقلين والمسجونين من سوريين وفلسطينيين في سوريا ولبنان، خصوصاً وان السلطات الافرنسية كانت قد اعتقلتهم بتهمة وجود علاقات « وهمية بحد ذاتها » مع دول المحور . وقد أبرقت الخارجية الالمانية الى باريس تطلب حل هذه القضية من طرف حكومة فيشي . فجاء الجواب بأن شروط الهدنة صريحة فلا يحق لالمانيا ان تطلب مثل هذا الطلب الا لصالح الذين اعتقلوا بصورة جلية لانهم من رعايا المحور أو انهم يميلون الى المحور بعواطفهم السياسية . اما المعتقلون من سوريين ولبنانيين ، فقد حكم عليهم وسجنوا بتهمة « العبث بالامن الداخلي وتآمرهم على سلامة البلاد » ، وانه اذا كان بين المعتقلين من حكمت عليهم المحاكم العسكرية بتهمة ميولهم الى دول المحور ، فالافرنسيون يطلبون تعيين الاسماء لكي يطلقوا سراحهم . وعليه طلبت من الخارجية ان تطلب من روما لتبرق هذه الى لجنة الهدنة الايطالية الموجودة في سوريا ولبنان لكي تنصح الافرنسيين بالحسنى لاطلاق سراح المعتقلين بدون تعيين اسماء

ولكن بتعيين المعتقلين الذين حكم عليهم لاسباب سياسية لا لاسباب مدنية فردية . وقد طلبت ايضاً ان يشار في البرقية الى انه من الضروري افهام الافرنسيين ان هذا العمل يضع حداً للدعاية السياسية ضد المحور . ولم أكتف بهذا كله بل طلبت من الخارجية ان تبرق للجنة الهدنة الالمانية في باريس لكي تقوم هي ايضاً بمسعى لدى حكومة « فيشي » . وقد فهمت بعد عشرة ايام ان المسألة نالت عناية تامة وان مشكلة المعتقلين أصبحت بطريق الحل .

متابعة المحادثات

٢٠ أيلول سنة ١٩٤٠

ولما انتهينا من وضع التصريح ، قال الالمان انهم يوافقون عليه الا انهم مضطرون لاخذ موافقة ايطاليا . لذلك فهم سوف يرسلون جميع التقارير الى روما لاخذ موافقة وزارة الخارجية الايطالية . عندئذ أفهمتهم ان روما سبق لها ان قدمت تعهداً خطياً بواسطة سفيرها في بغداد الى رئيس الوزراء يتضمن الاعتراف باستقلال البلاد العربية . فأجابوا بان هذا مما يسهل علينا الامر كثيراً وسوف نبلغ روما انه مادام قد حصل هذا الاعتراف من جهتها فقد خطونا خطوة كبيرة في سبيل التفاهم . وبعد بضعة ايام استدعتني الخارجية وأبلغتني ما يأتي :

١ ـ لم يقدم سفير ايطاليا في بغداد كتاباً ما الى رئيس الوزارة العراقية يفيد اعتراف ايطاليا باستقلال البلاد العربية. وغاية ما هنالك ان السفير اخبره شفاهياً عن نوايا ايطاليا.

٢ ـ ليس للعراق من القوة العسكرية ما يتيح له ان يكون ذا أثر فعال في سياسة الشرق الادنى. لذلك فان ايطاليا تشك جداً في قيمة العراق العسكرية وفي قدرته على الاحتفاظ بحياده ازاء انكلترا فيما اذا أرادت امرار جيش بريطاني في أراضيه الى فلسطين ومصر وتركيا.

عند ذلك عرضت على الخارجية الالمانية اقتراحاً بارسال احد الخبراء لدرس مقدرة الجيش العراقي في العراق لطمأنة ايطاليا من هذه الجهة. وقلت للالمان اني درست معكم هذه المسألة وأوضحت لكم ان الحكومة العراقية تريد اتخاذ التدابير اللازمة لتقوية الجيش ومشترى الاسلحة والعتاد الكافي لحماية حيادها التام. فافهمتني الخارجية الالمانية بصراحة ان المانيا لا تضمر الا الخير للبلاد العربية وهي من ناحيتها الخاصة مستعدة لاعطاء التعهدات ولكنها مرتبطة باتفاقات مع ايطاليا، فمن الضروري أخذ موافقة روما في جميع الامور. فكان جوابي ما ياتي:

نعم ان سفير ايطاليا في بغداد أبلغ رئيس الوزراء اعتراف

ايطاليا باستقلال البلاد العربية شفاهيا . ولكن رشيد بك أصر على أخذه كتابة . فراجع السفير حكومته ولدى قبولها وقع بصورة رسمية كتاباً بتاريخ ٧ تموز سنة ١٩٤٠ الى رئيس الوزارة العراقية يؤكد به اعتراف ايطاليا (وقد أثبتنا صورة الكتاب سابقا) . فقالت الخارجية الالمانية انه ربما كان ذلك من عند السفير بدون مراجعة روما . فقلت لها كلا ، لانه في اول الامر لم يشأ السفير اعطاء التصريح كتابة وطلب مهلة لمراجعة الكونت شيانو . ولما جاء الجواب قدّم الكتاب المذكور . فقالوا : نحن أبلغنا الايطاليين أنه مادمتم قد صرحتم سابقاً واعترفتم باستقلال البلاد العربية ، فليس ما يمنع ان نعطي تصريحاً مشتركاً حسب رغبة الحكومة العراقية . ولكن روما أجابت بانه لا علم لها بالكتاب المذكور . فقلت لنفرض المحال وان ايطاليا أعطت تصريحاً شفاهياً ولم تتعهد خطياً ، فهل تعتقد إذاً ان التصريح الشفاهي لا يربطها ، وان تصريحات راديو روما وبادي هي موجات تذهب مع الريح ؟ فاما جئنا نطلب اليها تصريحاً خطياً وان تضع امضاءها الى جانب المانيا أخذت تتردد ... ثم سألوني عما اذا كنت أشك في نوايا ايطاليا . فقلت لهم نحن نريد سياسة صريحة لا غموض فيها ولا إبهام ، ونرغب في ان تكون النية الحسنة الاساس الذي تقام عليه الصلة بيننا وبين غيرنا . نعم ان

ايطاليا تخيفنا لان لها تاريخاً نعرفه وتعرفونه في طرابلس الغرب ، ولان سياستها مبنية على اعادة الامبراطورية الرومانية والسيطرة على البحر الابيض المتوسط ، فالذي يكون ذا نية حسنة لا يتأخر عن اعطاء تصريح خطي بصورة رسمية . ان العرب قاسوا الامرّين منذ الحرب الماضية من جراء سياسة الرياء والنفاق وليسوا مستعدين لأن يلدغوا من الجحر مرة ثانية .

نعم إن ايطاليا احتلت السلّوم وسيدي البرّاني في هذا الاسبوع ، فاصبحت تعتقد انها فتحت مصر والسودان وانتهى الامر . فهي لاتريد ان تعد بشيء ، لانها عندما يعلن راديو باري وروما احترامها لاستقلال البلاد العربية ، لا تعني غير الدعاية وهي نوع من السلاح المرغوب فيه في زمن الحرب والسلم . وعندما ترتاب ايطاليا بقوة الجيش العراقي وبقيمة البلاد العربية تريد التثبت من حقيقة الجيش العراقي وارسال احد خبرائها للاطلاع على اسرار العراق . والحقيقة ان عدم اعطاء جواب حاسم بالاعتراف باستقلال البلاد العربية رسمياً ، يخفي وراءه نية ربح الوقت ، عسى ، ان تتمكن ايطاليا من احتلال مصر والاستيلاء على البلاد العربية بدون اهتمام لرغبات العرب . ولكننا قوم نريد سياسة صريحة ونرغب في المحافظة على كياننا والتعاون معكم على أساس الحياد بشرط ان تتخذ جميع التدابير

الاحتياطية الاولية قبل اعلان هذا الحياد . والحرب لم تزل في أولها والاغلب انها ستطول . وانكلترا اذا ربحت لا تنسى ان الذي لم يكن معها فهو عليها . وعلى كل حال لا يمكن العرب ان يكتفوا بالدعايات لانهم قوم يريدون تحقيق أمانيهم القومية، فاذا رأوا بلادهم معرضة الاخطار فسيزنون جميع المقترحات التي تعرض عليهم من كل جانب ويتجهون الاتجاه الذي يحفظ كيانهم ويحقق أمانيهم . إن أمام ايطاليا صعوبة عظيمة في ميدان ليبيا وإنّا نريد ان نأخذ الجواب النهائي بأسرع ما يمكن .

وقد نقل حديثي تليفونياً الى الهر فون ريبنتروب في روما . ورفضت فكرة إرسال خبير لدرس وضعية الجيش العراقي وقلت لهم ان العراق مستعد لمشترى الاسلحة اللازمة لتقوية الجيش اضعاف ما هو عليه الآن .

وفي تاريخ ٢٦ ايلول دعتني الخارجية الالمانية وأفهمتني ان روما وجدت الكتاب الذي بموجبه فوضت سفيرها في بغداد السنيور غبريالي باعطاء كتاب الاعتراف باستقلال البلاد العربية وان وزارة الخارجية الايطالية في روما كانت قد فوضت السفير الايطالي في بغداد باعطاء هذا التصريح، ولكن السفير لم يعرفها انه فعل ذلك . وعلى كل حال فالمشكلة انتهت والكتاب وجد... وأخذت الاخبار تأتي من روما وبها اعتراضات على مطالبنا،

ومن هذه الاخبار ما يلي :

١ ــ إن ايطاليا تخشى روسيا ودعاياتها في المستقبل ضدها في البلاد العربية .

٢ ــ إن ايطاليا تريد عقد اتفاق عسكري مع العراق فاذا تم ذلك تعمل على رفع مستوى الجيش العراقي .

٣ ــ ان الموارنة يطلبون حماية دولة مسيحية ، وانه حضر من لبنان شخصيتان مسيحيتان الى انقرة وقابلا فون بابن بهذا الخصوص . وان قداسة البابا مهتم بمستقبل فلسطين وان مسألة فلسطين تهمه اكثر من الحبشة لانها مهد الديانة المسيحية ، ولان البحر المتوسط يجب ان يكون مركزاً مهماً للدعاية الكاثوليكية . وقد أظهر الالمان امتعاضاً من هذه السياسة ومن تدخل قداسته في الامور السياسية . ولكنهم اعترفوا ان ايطاليا الامبراطورية مؤيدة لرأي الفاتيكان في هذا الصدد ، وهو نشر الدعاية الدينية .

٤ ــ اما سوريا فمن الصعب حمل الافرنسيين الآن على تركها ، وانه لو أراد المحور ذلك لما استطاع بسبب مايغلب على الفرنسيين في المستعمرات والامبراطورية الافرنسية من تردّد . فهم في حالة لا يعرفون معها ماذا سيكون مصيرهم النهائي حسب معاهدة الصلح . فهل سيضطرون الى الحاق مستعمراتهم بالجنرال دي غول ، أم انهم بتضحيتهم بشيء من المستعمرات يمكنهم ان ينقذوا

قسماً كبيراً من فرنسا نفسها. وبالاختصار ان سوريا هي ورقة لعب في يد فرنسا تدفعها عند اللزوم لتسديد بعض حساباتها ، لذلك لا يريد الافرنسيون عمل شيء بخصوصها ... وقال الالمان ان الافرنسيين لا يفهمون إلا مكرهين ، وشعرت انهم أي الالمان لا يريدون ان تحدث أية حركة في سوريا لانها تكون في صالح انكلترا بالدرجة الاولى . فتجاهلت هذه النقطة ولم أتوسع فيها .

المحادثات بين ريبنتروب وشيانو

جرت بعد هذه الفترة محادثات بين وزيري الخارجية الالمانية والايطالية في روما . وظهر اتفاق جديد تحت اسم اتفاق المجالات الحيوية (espace vitale) كما يقال بالافرنسية و (Lebensraum) بالالمانية ، وكان هذا الاتفاق شاملاً لليابان فيما بعد ، ويقضي بجعل البحر المتوسط ضمن مجال ايطاليا الحيوي ، اي انه يدور على محور السياسة الايطالية ، أما البلقان فضمن مجال المانيا ، والشرق الاقصى لليابان . وأخذت هذه الحالة تتضح رويداً رويدا ، ولمست ذلك في تصريحات الخارجية الالمانية بان ايطاليا وحدها هي التي يجب ان تفاوض بكل المسائل المتعلقة بالبلاد العربية ، وانهم اي الالمان يوافقون بدورهم على كل ما توافق عليه ايطاليا . وفي أحد الايام تلقيت دعوة من روما لمقابلة وزارة

الخارجية هناك لاتفاهم معها على جميع الامور ... وأبديت اعتراضات على سياسة المجال الحيوي وقلت : ان للبلاد العربية ايضاً مجالا حيوياً ضمن استقلالها وحريتها ، ولا يمكن إيطاليا ان تمنع البلاد العربية ان يكون لها أحسن العلاقات مع المانيا التي أحرزت في الشرق عطفاً كبيرا ، فقيل لي : « ان المانيا لايمكنها ان تتخلى عن علاقاتها الحسنة مع الشرق وانه مهما يكن من اتفاق بين المانيا وايطاليا بهذا الخصوص فهو موقت يعمل به مادامت الحرب قائمة ، وانه مهما تقلبت الظروف فلا يمكن المانيا ان تترك مصالحها لحساب غيرها .

ولم يترك الالمان اية فرصة تمر دون الاعتذار عن موقف ايطاليا هذا ، ووصفه بانه موقت . ثم قيل لي ان التصريح سوف يظهر في هذا الاسبوع (حوالي ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٤٠) وقد تم الاتفاق عليه وانه ليس هو كل ما نريده ولكنه خطوة أولى ...

ظهر التصريح وأردت مناقشته مع سكرتير الدولة الاول (فون وايتز سزكر) ومما جاء فيه : أن المانيا وايطاليا تعترفان باستقلال البلاد العربية وتتابعان بعطف واهتمام ما يقوم به العرب من جهود في سبيل تحقيق هذا الاستقلال . وطلبت تغيير بعض جمله وإضافة جملة « الاعتراف باستقلال البلاد العربية »

بصورة مفصلة ، فلم أنجح لان التصريح في شكله الحاضر وضعه هتلر وموسوليني ، وان هذه هي الصيغة الاخيرة . وطلبت ان يكون التصريح رسمياً من وزارة الخارجية الالمانية ويرسل الى ممثل العراق في انقرة ، كامل بك الكيلاني ، موقعاً من وزارتي الخارجية الالمانية والايطالية معا ، فوعدوني بذلك . ولكن يوم اعلان التصريح في الراديو اطلعت على النسخة العربية التي قدمت للمذياع بدون كلمة تصريح رسمي من وزارة الخارجية الالمانية . وبعد التي واللتيا وافقوا على ان يقولوا : « أعلنت الحكومة الالمانية رسميا » ...

ثم رجعت الى وزارة الخارجية الالمانية وأعلنت ان هذه الحالة لا تطمئن ، وان التصريح غير كاف . فأصرّوا على انه بداية وخطوة اولى .

ثم طلبت اليهم ان يبرقوا الى سفيرهم في انقرة « الهر فون بابن » ليعلم كامل بك ان هذا التصريح ليس إلا خطوة اولى وانهم مستعدون لوضعه في صورة أتم وأوفى بمفاوضات ثانية .

ومن غريب التصادف أني لما طلبت من سكرتير الدولة الاول إضافة عبارة « الاعتراف باستقلال البلاد العربية » على التصريح ، وقعت بيني وبينه مشادة . فقد قال لي ان مجرد إرسال سفير الماني الى العراق يعتبر اعترافاً بالاستقلال . وعندما

تستقل بقية البلاد العربية ترسل اليها ايضاً سفراء ، فيكون ذلك بمثابة اعتراف بالاستقلال . فأجبته : « انت تعرف ان هذا التفكير لا يطابق الواقع ، فكثير من الامم التي لكم لديها سفراء أضحت غير مستقلة ، ولا لزوم للافاضة بهذا البحث ، لان إرسال السفراء لا يعد اعترافاً بالاستقلال . فغير عندئذ لهجته وأخذ يقول : انه يجب على البلاد العربية هي ايضاً ان تتحرك وتعمل شيئاً لنفسها ، فقد وضعنا كلمة (Strebens) في التصريح لتفيد معنى الجهاد والكفاح » أي ان المانيا تعطف على البلاد العربية ما دامت تكافح وتجاهد في سبيل استقلالها ...

ودعيت لحفلة عشاء في فندق الـ Esplanade في برلين حضرته جميع هيئة وزارة الخارجية . وهناك دارت أحاديث متنوعة عن أسباب انهيار فرنسا ، والمشكلة اليهودية ، وموقف كل من تركيا وروسيا . وسيأتي ذكر هذه الاحاديث فيما بعد .

الفصل النهائي في برلين

تأهبت للذهاب الى روما . ولكني ما كدت أهم بالذهاب حتى طلبت مني وزارة الخارجية الالمانية الحضور اليها حالا قبل ذهابي للتحدث عن بعض المسائل المهمة . ولدى هذه المقابلة عهد إلي بصورة سرية أن اطلب من الحكومة العراقية أن لا

تتوسط السفارة الايطالية في بغداد في المسائل التي تتعلق بالعرب والمانيا ، وأن تكون جميع المخابرات بواسطة فون بابن في انقره أو سفير المانيا في طهران . وابلغت بصراحة أن ايطاليا يقلقها جداً اتصال المانيا بالشرق ، وانها لا ترغب في أن يكون في بغداد سفير الماني قوي يزاحم السفير الايطالي فوعدت بالاهتمام بذلك... ثم طلب إلي أن اتصل بوزارة الخارجية للمرة الاخيرة في الغد ، وفي هذه المقابلة اطلعني الدكتور « غروبا » سراً على تقرير من الحكومة الايطالية تقول فيه انها ستدرس قضية مساعدة الحركة في فلسطين بكل الوسائل ، وانها تنتظر قدومي الى روما ، وطلب إلي أن اتحدث الى الطليان في موضوع المساعدة العسكرية وكيفية ايصالها الى فلسطين .

وهنا لا يسعني إلا أن اشير الى أن « غروبا » كان شديد الاهتمام بي ، وقد جاءتني امرأته وهي من الالمان المقيمين في القدس ، تتوسل إلي أن اسعى لارجاع زوجها الى بغداد ، وأن أذكره بالخير وأنوه بمقدرته امام الوزارة الخارجية الالمانية ، فلبيت رغبتها ، وبذلك أصبح « غروبا » مخلصاً لي اشد الاخلاص يطلعني على كثير من التقارير . ثم جاءني هو بنفسه وقال لي أنه ارسل إلي امرأته ووعدني بأنه اذا جاء الى بغداد فسيقوم بدور خطير في مساعدة القضية العربية وسيقنع حكومته بتقديم

أقصى ما يمكن من المعونة . فوعدته ببذل كل ما في وسعي . ورجاني هو والسكرتير الاول أن اسعى لاعادة العلاقات مع العراق ، فبينت صعوبة ذلك في الوقت الحاضر . ثم تحدثنا عن الحرب ، ففهمت أنهم يعتقدون الآن ان الحرب سوف تدوم عدة سنوات .

سفري واعمالي في روما

سافرت الى روما وذهبت الى السفارة الالمانية التي مهدت لي السبيل لمقابلة وزير الخارجية الايطالية . وبعد التعارف وايضاح الغرض من قدومي الى روما دعاني للاتصال بالسفير « Buti » في قصر كيجي ، فقدمت اليه تقريراً مفصلاً وضعته في القالب الذي اعتقدت انه يحدث تأثيراً قوياً في نفوس الايطاليين. وهذا هو التقرير :

اولا ـ الاسباب التي تدعو للتعاون المجدي بين العرب وايطاليا .

---

١ ـ العرب والطليان من شعوب منطقة البحر المتوسط ، فمن الضروري أن نتعاون وان نجتهد لاخراج الغريب الذي حل طفيلياً علينا ويريد ان يملي علينا ارادته ان انكلترا لا يحق لها التدخل في منطقتنا ، ولكي نضع حداً لذلك التدخل يجب أن نتعاون جميعاً لابقاء منطقة البحر المتوسط لاصحاب المنطقة نفسها.

٢ ــ ان العرب يعلمون ان التعاون مع انكلترا اصبح صعباً جداً وذلك بسبب تعاونها التام مع اليهود على حساب العرب ، ولا يمكنها ان تتخلى عن سياستها اليهودية بسبب اضطرارها واحتياجها لمعونة اميركا ، واليهود هم اصحاب النفوذ المالي والاقتصادي في اميركا لذلك فان انكلترا ترى ارضاء اليهود مسألة اساسية لا ثنوية . فالعرب لا يمكنهم ان يعتمدوا على انكلترا بشيء ومن مصلحتهم التعاون مع ايطاليا ضد السياسة الانكليزية اليهودية .

٣ ــ لا يوجد بين العرب وبين ايطاليا تزاحم اقتصادي مثل الذي بين انكلترة وايطاليا .

٤ ــ ان تقدم العرب في المدنية والحضارة جعل احتياجاتهم الصناعية تزداد رويداً رويداً ، وان اسواقهم لتحتاج الى كثير من المواد المصنوعة التي يمكن ايطاليا ان تقدمها اليهم ، وهم يقدمون لايطاليا على سبيل التبادل ما لديهم من المواد الأولية وغيرها مما تنتجه بلادهم .

٥ ــ ان أعداء ايطاليا هم أعداء العرب ايضا .

ثانياً ــ قيمة العرب في البحر الابيض المتوسط .

---

١ ــ ان العرب يبلغ عددهم سبعين مليونا ولهم نفوذ ادبي ومادي عظيم في حوض البحر المتوسط .

٢ ــ ان وقوف العرب على الحياد يحرج موقف انكلترا في الشرق فيصعب عليها الاتصال بتركيا ومصر خصوصا اذا اندلعت نار الثورة في فلسطين وتحررت سوريا .

٣ ــ ان ضرب اليهودية العالمية في فلسطين ضربة قاضية يهدم معنويات اليهود في اميركا نفسها ويفل عزيمتهم ، ويقضي على دسائسهم التي تعرقل اعمال المحور الحربية والسياسية .

ثالثاً ــ ما يمكن لايطاليا ان تجنيه من المنافع بتعاونها مع العرب .

١ ــ فتح اسواق تجارية مهمة لتبادل المنافع الاقتصادية . وبهذه الطريقة يتسنى لايطاليا ان تستفيد اضعاف ما تستفيده عن طريق السياسة الاستعمارية .

٢ ــ الاسراع في القضاء على النفوذ البريطاني في الشرق واخراج بريطانيا من البحر الابيض المتوسط وهذا ما تريده ايطاليا بالدرجة الاولى .

رابعاً ــ اما مطاليب العرب من المحور ، فهي :

١ ــ الاعتراف المطلق باستقلال بلادهم .

٢ ــ تقديم ضمانات جدية لتأمين هذا الاستقلال ، وعدم تمكين الانكليز من استغلال القضية السورية وذلك بعدم فسح المجال لهم للصيد في الماء العكر .

٣ ــ السعي لتحقيق استقلال سوريا عاجلاً لان سوريا

المستقلة دعامة قوية لفلسطين ونقطة استناد لمساعدتها . . .

اظهر السنيور « Buti » سروره وقال انه متفق معنا بالرأي . وطلب الي إبراز وثائقي التي احملها كاوراق اعتماد . فقلت له اني حملت الاوراق لسفير المانيا في انقره وانه هو الذي قدمها لحكومته ، وهذه أطلعت ايطاليا على مهمتي في بلاد المحور . فقبل ذلك وقال انه سيواجه وزير الخارجية ، وان المسألة تحتاج الى درس يستغرق بعض الوقت .

«المقابلة الثانية»

جرى البحث في موضوع عدم قطع العلاقات بين العراق وايطاليا ، واستياء الانكليز الشديد من العراق الذي أبى قطع علاقاته مع ايطاليا على الرغم من ضعفهم الشديد . ومما علمته في هذه المقابلة ان تأثير الانكليز لايزال قوياً لدى كثير من رجالات ايطاليا وان الشراكة الالمانية الايطالية لاتسير سيرها المطلوب .

المقابلة الثالثة

١٩٤٠/١٠/٣١

وفي المقابلة الثالثة كانت الحرب مع اليونان قد ابتدأت وانقطعت المواصلات في البلقان بين تركياوبلغاريا ، لان سكك حديد اليونان كانت تشتغل بنقل الجنود . فقصدت وزارة الخارجية وأعلمتها بلزوم سرعة سفري ولو قبل مقابلة الكونت

شيانو . واتفقنا على ان يكون الاتصال مع ايطاليا عن طريق سفيرها في بغداد .

وصولي الى تركيا

وصلت الى تركيا وتوجهت الى انقره، وعلمت هناك ان فون بابن لم يعط ناجي بك شوكت التصريح الرسمي المكتوب الذي صدر عن وزير الخارجية الالمانية، رغم وعد برلين لي بتحقيق هذه الرغبة ورأيت أن ارسل من انقره رسالة الى وزارة الخارجية الالمانية طالباً انجاز ما سبق لها أن وعدتني به . وقد علمت اثناء وجودي في انقره، من مصدر موثوق به، بان رئيس الوزارة التركية صرح لاحد رجال العرب بانه يرى ان يقدم العراق على انشاء الخط الحديدي لحدود الجزيرة، وتنشيء تركيا القسم الآخر الى ديار بكر، وبهذه الطريقة يتخلص العراق وتركيا من العراقيل التي يقيمها الافرنسيون في طريق العلاقات التجارية بين الطرفين. فأجابه السياسي العراقي: «ان الحالة المالية لاتساعد العراق الآن على مد هذا الخط، والحديد غير متوفر، واحسن من ذلك السعي لانهاء مشكلة سوريا»، فقال رئيس الوزارة التركية عندئذ مبتسما: «سيجيء دورها قريباً وقريباً جداً فلا لزوم للتسرع».

ثم علمت من مصادر موثوق بها أنه على الرغم من كل

الاشاعات فان تركيا واقفة الى جانب انكلترا ، وستدافع عن نفسها عندما تبدو اقل بادرة ضدها من جانب المحور ...

سفري الى العراق

لما وصلت الى استانبول ذهبت الى القنصلية الافرنسية وطلبت التأشير على جواز سفري العراقي « للمرور فقط » عن طريق حلب الى الموصل ، ولكن القنصلية طلبت ان اعطيها الجواز لترسله الى بيروت فيؤشر عليه الامن العام الافرنسي ويرجعه ، وهذه العملية تستغرق خمسة عشر يوماً . وعليه تابعت سفري الى انقره وفيها نزلت في فندق (Belle vue) وقدّمت جواز السفر الى صاحب الفندق حسب العادة لاجراء معاملة دخولي البلاد ، في دائرة الامن العام التركي . وفي اليوم الثاني فاجأني المديربان الجواز ضاع وانه لم يجده ، وعبثاً حاولت التفتيش عنه . فذهبت الى السفارة العراقية واخبرتها بالامر ، ورغم تهديدات كامل بك الكيلاني لمدير الفندق لم يتراجع عن الادعاء بان الجواز ضاع منه . والمفهوم ان سلطة ما ، والارجح انها دائرة الاستخبارات البريطانية ، هي التي تمكنت من اخذ الجواز . فقرر القرار على اخذ جواز سفر جديد من السفارة العراقية نفسها ، ولما تعذر اخذ التأشيرة من الافرنسيين بدون ارسال الجواز الى بيروت ذهبت الى وزارة الخارجية التركية برفقة كامل بك

الكيلاني وتمكنت من الحصول على مأذونية المرور عبر الولايات الشرقية عن طريق ديار بكر — ماردين — جزيرة ابن عمرو الى الموصل . فسافرت الى ديار بكر بالقطار ومنها بسيارة كبيرة الى ماردين ، وفي ماردين فهمت أنه لا يوجد طريق سيارات الى جزيرة ابن عمرو وانه يجب ان آخذ دليلاً معي واسافر على ظهر الخيل مدة سبعة ايام. فتوكلت على الله وذهبت الى دائرة البوليس لاخذ وثيقة طريق ، فأبدى مدير البوليس لطفاً زائداً ، غير انه افهمني انه بقدر ما يحب العراق والعرابيين يكره سوريا والسوريين ، وظن انه بذلك يتحبب الي ، واقتصرت على القول بان السوريين لا يكرهون الاتراك ولكن هذه الحالة نشأت عن سياسة الاتحاديين الذين قاتلهم الغازي مصطفى كمال نفسه .

وهكذا سافرت بين القرى الكردية في تلك المنطقة فكنت اقضي النهار راكباً على بغل ، معي الدليل وفي الليل أحل ضيفاً على مختار القرية التي انزل فيها . وقد انتحلت لنفسي مهنة الطب ، وكنت في اكثر الاحيان اجد في كل دار فراشاً يستلقي عليه مريض بالملاريا ، فاعطيه كمية من الكينا والاتبرين فينتشط في الصباح ، فيهتم القوم بامري ويبالغون في اعتنائهم بي . وكان الدليل الكردي يحسن العربية والتركية ، فكان كلما دخل بيتاً ابتدأ ينوه بمهارتي وبراعتي في معالجة المرضى ، وكثرة الذين نالوا

الشفاء على يدي .

وهكذا وصلت الى جزيرة ابن عمرو ومنها ركبت زورقاً مصنوعاً من الحطب مربوطاً الى جلود منفوخة ، اسمه كلك . واستغرقت رحلتنا هذه احدى وعشرين ساعة وصلنا في نهايتها الى الحدود العراقية ومنها اتجهنا الي بغداد .

تقريري عن سفرتي الاولى الى بلاد المحور

بغداد ٤٠/١١/٢٥

١ ـ يقول الامير شكيب : « ما دامت انكلترا لا تريد ان تقوم بأي عمل كان لصالح العرب فيجب التخلي عن سياسة الجمود ، وإثارة قضية فلسطين بصورة جديّة وقوية . وهنالك أمل ان تعود انكلترا للتفاهم عندما ترى الامر جديا » .

وقد أخبرت الامير ان القيام بأية حركة في وقت الحرب في فلسطين ، امر عسير ، ولا يمنعنا هذا ان نستعد للمستقبل ونتهيأ لما بعد الحرب . وقد فهمت من الامير ان علي ماهر باشا اتصل به وطلب منه ان يسافر الى روما ويفاوض المحور على اساس احترام الاراضي المصرية لقاء اعلان مصر بلاداً محايدة . ولكن ذلك يتوقف عملياً على قبول الحلفاء ذلك وثقتهم من جهة اخرى بوعود المحور .

٢ ـ لا يمكن التعويل على التصريحات الرسمية والوعود .

ولدينا من تجارب السنين العشرين الاخيرة في اوروبا ما يؤيد ذلك كل التأييد ، فمن الضروري ان نخرج من عزلتنا وجمودنا ونعمل لكي نحقق استقلال فلسطين وسوريا في اثناء هذه الفرصة الثمينة ، ونضع خطة محكمة من الوجهة السياسية للوصول الى هذه النتيجة .

٣ ـ يجب ان نعمل على قدر الامكان في سبيل الحياد التام ونساوم على كل خطوة نخطوها الى جانب الحلفاء .

٤ ـ يجب العمل على تقوية الجيش باقصى ما يستطاع ، ووضع نظام اقتصادي جديد يسهل الحصول على موارد قوية لزيادة التسلح ، ولا مانع من الاستقراض لهذا الغرض ، لان الوقاية افضل من العلاج ، والاستعداد يوفر علينا خطر الحرب والتعدي .

٥ ـ يمكن اقناع المحور بان العلاقات سوف تستعاد بين المانيا والعراق . وان العراق آخذ في الاستعداد لمجابهة الموقف ، لان اعادة العلاقات تحتاج الى اتخاذ تدابير احتياطية كبيرة ، وانه بعد اتخاذ هذه التدابير يعلن العراق حياده التام في هذه الحرب ، ويستعيد صلاته الدبلوماسية مع المانيا ، اسوة بتركيا وايران اللتين لم تقطعاها ، حتى ان اليونان لم تقطعها مع المانيا ، والعراق نفسه لم يقطع العلاقات مع ايطاليا فيمكن اعادتها واعلان الحياد التام بعد الاستعداد .

٦ ــ من المفيد القيام باحصاء سكان العراق ونشر نتيجة الاحصاء.

٧ ــ اعتقد ان روسيا هي المحور الذي عليه تستند سياستنا كلها . وان الالمان بالرغم من ميثاق آب سنة ١٩٣٩ ، غير مرتاحين الى روسيا . فعلينا التقرب من هذه الاخيرة متجاهلين وضع الالمان الحقيقي مع روسيا ، متظاهرين بصداقتنا لروسيا لانها متفقة مع المانيا . وهذه نقطة اساسية سوف نعتمد عليها اذا تقرر رجوعي مرة اخرى الى برلين . . .

اسباب انهيار فرنسا كما فهمتها في برلين من المصادر الرسمية

١ ــ لاصحة للزعم القائل ان الجيش الافرنسي لم يقاوم مقاومة شديدة ، بل بالعكس فقد اظهر بطولة فائقة .

٢ ــ ان القيادة الافرنسية كان يجب عليها اتباع خطة الهجوم بدلا من الدفاع وراء الخطوط ، وكان يجب عليها في ابتداء الحرب خاصة ان تجبر المانيا على ان تحارب في ميدانين ميدان بولونيا وميدان الرين . ولكن بدلاً من ذلك استراح الجيش الافرنسي على الرين فتركت الفرصة للجيش الالماني لسحق بولونيا . والحقيقة انه لو اتبعت القيادة الافرنسية خطة الهجوم لانقلبت الحالة رأساً على عقب ، وربما تأخر سحق بولونيا كثيراً.

٣ ــ ان تفسخ فرنسا الداخلي وبلبلة الاحزاب لم يؤثرا في الحرب نفسها ، بل كان تأثيرهما فى السنوات السابقة عظيما على استعداد الجيش الافرنسي . فتبددت الاموال التي كان يجب انفاقها علي تحسين وسائل الجيش .

٤ ــ ان كبار قواد الجيش الافرنسي ارادوا ان يتمشوا اعلى طرق الحرب القديمة Classique فأهملوا سلاح الطيران والسلاح الآلي (الدبابات) .

٥ ــ لا شك ان الجنرال دي غول كان ابعد نظراً من سواه في فرنسا . فقد كانت تقاريره الماضية (التي اطلع عليها الالمان في ملفات وزارة الحربية الافرنسية في باريس) وهي ترجع لسنتي ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥ وما بعدها ، على جانب عظيم من الحكمة ، فقد الحّ على فرنسا في تعبئة ١٥ فرقة ميكانيكية ، وتقوية السلاح الجوي الى حد بعيد . وقد يدهش الانسان عند قراءة تقارير دي غول الرسمية وتهويله بالخطر العظيم الذي تتعرض له فرنسا اذا لم تقم بتنفيذ برنامجه المحكم . ولو تمشت فرنسا على سياسة دي غول العسكرية لما وقعت في هذه الكارثة ولتغير مجرى التاريخ في اوروبا . . .

حقيقة حالة فرنسا اليوم وموقف المارشال بيتان

١ ــ إن هم لافال هو وضع حد للبلبلة السائدة في فرنسا

وإرجاع الملايين الخمسة من المشردين الافرنسيين الى أعمالهم وأملاكهم في البلاد المحتلة (وقد رجع منهم ثلاثة ملايين) ثم بعد ذلك تبقى المستعمرات على ما هي عليه . ولكن خصومه يقولون إنه اذا أخذت تتحسن أحوال إنكلترا بصورة جلية ، انضمت هذه المستعمرات الى انكلترا . واذا كان الامر بالعكس وانهارت انكلترا . فعندئذ لا بد من قبول الكارثة .

٢ — ان ثبات الانكليز جعل الافرنسيين في المستعمرات يرون ضرورة المحافظة على قواتهم فيها مع التظاهر بعدائهم للانكليز للحصول على أحسن شروط ممكنة في ادارة مصالح فرنسا الداخلية .

٣ — ان بعض الساسة الالمان لا يخفون قلقهم من وجود ويغان في افريقيا .

٤ — ان حركتي وهران ودكار ومقاومتها الاسطول البريطاني ، ساعدتا فرنسا على الاحتفاظ بقواتها في المستعمرات . ومهما يكن من الامر فالرأي العام الافرنسي يميل بطبيعة الحال الى دي غول وحكومة بيتان تريد اظهار حسن نيتها تجاه المحور على الاقل بصورة ظاهرة والضرب على أيدي الذين ينتمون للحركة الديغولية ، حرصاً على تخفيف وطأة الاحتلال الالماني لفرنسا .

٥ ــ ان الالمان يثقون بلافال الى حد بعيد لانه يكره الانكليز ...

المسئلة اليهودية

يعتقد الالمان بلزوم اخراج اليهود من جميع نواحي اوروبا وتأسيس كيان هذه القارة على نظام العنصرية ، حتى انهم ينوون احداث دولة فلنمكية في قسم من بلجيكا وهولندا وشمال فرنسا. وهذا النظام يتطلب تبادل الاقليات وتصفية قضاياها بصورة نهائية . والقضية اليهودية هي قضية اقلية عاثت فساداً على رأيهم في جميع البلاد الغربية ، فمن الضروري تصفيتها هي ايضا بصورة حاسمة .

وضع تركيا الحالي

١ ــ يعتقد الالمان ان في تركيا نقطة ضعف هي تغيير طراز سلاحها من الالماني الى الانكليزي وحاجتها الى الوقت الكافي لتحقيق جميع مطاليبها ، وان الاتراك عند وقوع الحرب سوف يتخذون خطة الهجوم ضد بلغاريا وليس خطة الدفاع .

٢ ــ اما بلغاريا فان حالتها الداخلية لا تسمح لها بدخول الحرب مباشرة لان الحزب الزراعي (Parti agraire) يناوىء الحكومة ويمثل الاكثرية الساحقة . وأقصى ما يمكن المانيا أن

فعله هو اقناع بلغاريا بفتح الطريق امام الجيوش الالمانية لتتمركز على الحدود التركية البلغارية ، والسعي لحمل البلغار على ترك السياسة السلبية الاستفادة من الجيش البلغاري لقاء مساعدتهم على تحقيق مطامعهم في تركيا واليونان .

٣ــ اما موقف روسيا ازاء تركيا فهو الذي يكيف السياسة التركية ويعين اتجاهها . فروسيا قد لا تهاجم تركيا بل تتخذ ازاءها خطة الحياد التام . وان خوف المانيا من احتمال تقدم روسيا لاحتلال الولايات الشرقية من جهة القفقاس ، اذا اقدمت هي على مهاجمة تركيا ، هو الذي يجعل تركيا في الوقت الحاضر في مأمن من الجهتين . وهذا الوضع هو الذي يحمل تركيا على التمسك بالحياد التام ارضاء للمحور وللحلفاء معاً لتأمين التوازن اللازم بين الجبهتين المتقاتلتين . وهو وضع صعب جداً يتطلب الكثير من الحنكة والدهاء الامر الذي يعترف الجميع للاتراك به . والخلاصة أن الحجة التي كان يتمسك بها الاتراك للمحافظة على حيادهم وارضاء الحلفاء والمحور معاً في وقت واحد هي ان تركيا اذا هاجمها الالمان فان الروس يتذرعون بهذه الوسيلة لدخول تركيا ومشاركتهم في احتلالها من جهة القفقاس .

مايحول الالمان عن مهاجمة روسيا الحقيقية

ان حالة روسيا الداخلية سيئة لان الشيوعية جعلتها في

حالة محزنة . وقد سألت مصادر متعددة عن الاسباب التي أدت الى عقد الاتفاق الالماني الروسي (ميثاق ٢٥ آب سنة ١٩٣٩) فكانت كلها متفقة على أن روسيا اعتقدت ان اوروبا ستحارب بعضها بعضا وان المانيا لن تتمكن من دحر فرنسا وان الحرب ستدوم عدة سنوات يضعف فيها الفريقان وتقوى بعدها روسيا على نشر مبادئها الشيوعية والثورة العالمية في المانيا وفرنسا بل في سائر اوروبا . ولكن انهيار فرنسا جعل احلام روسيا تتلاشى ، فوجدت نفسها وجهاً لوجه أمام الجيش الالماني القوي في جبهة برية واحدة ، شرقية لا غربية . فلم تر بداً من مصانعة المانيا ، والا كان مصيرها كمصير فرنسا . وان روسيا هي الآن ضمن نطاق حديدي بين المانيا واليابان . ثم ان الالمان يؤكدون ان نجاة فنلندا من روسيا وتوقف الحرب بينهما ، كانا بسبب تدخل المانيا لمصالح فنلندا . وان روسيا أقدمت على احتلال آبار البترول الروماني فافهمتها المانيا أن هذه المناطق هي بحاجة اليها ، فتراجع الجيش الروسي عنها حالا . على ان المانيا لا تنوي اثارة روسيا ما دامت العلاقات طيبة ، ولكن روسيا مترددة وهي تخشى سيطرة المانيا . ولا بد ان يعم اوروبا احد النظامين وهما : النظام الشيوعي والنظام الالماني (Neue Ordnung) وهذا النظام الاخير لا يتلاءم مطلقا مع الشيوعية . وفي هذا دليل على أن

الوضع مضطرب بين روسيا والمانيا ولا يعلم الا الله كيف تتطور الامور بين الدولتين ، خصوصاً وانكلترا تعمل مع اميركا لاثارة الكرمليين ضد المانيا .

خوف المانيا من اميركا وبرنامجها اذا هذا الخوف

ان المانيا تخشى اميركا . والمعلومات التي كانت لدى وزارة الخارجية الالمانية في شهر ايلول ١٩٤٠ ترجح اعادة انتخاب روزفلت لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة باغلبية ساحقة .

ان اميركا تملك اعظم ثروة في العالم واوفر انتاج من المواد الاولية فاذا اصرت انكلترة على الثبات فمن الضروري الاسراع في ايجاد توازن اقتصادي وذلك بالسيطرة على حوض البحر الابيض المتوسط وعلى افريقيا . والسيطرة على افريقيا تتطلب الامور التالية :

١ ــ مساومة اسبانيا على جبل طارق ومراكش لاجل اقفال البحر الابيض المتوسط من الغرب في وجه الاسطول البريطاني . وهناك مشاكل مهمة امام اسبانيا اهمها مسألة الحصار البحري الذي يتعبها كثيرا ، خصوصاً في استيراد حاجياتها ، وتصدير منتوجاتها كالبرتقال وزيت الزيتون الى اميركا ، مع العلم ان اسبانيا خرجت منذ امد قريب من ثورة داخلية أكلت

الاخضر واليابس. ولكن المانيا كانت تشجع اسبانيا على الانضمام الى المحور لانه اذا فتحت الطريق الى افريقيا انفسح المجال امام المحور للحصول على المواد الاولية اللازمة لادارة الحرب واعاشة اوروبا وتموينها، وامام اسبانيا لاستيراد ماتريده او تصدير ماتنتجه.

٢ ـ وهناك ايضا فرنسا وهي واقفة موقف الحياد في مستعمراتها ولا بد من موافقتها لاخراجها من عزلتها السلبية. وصعوبة الاتفاق معها ناتج عن عدم امكان المانيا وايطاليا التنازل عن مطالبهما الاساسية في الالزاس واللورين واللوكسمبرج ونيس والسافوا وكورسيكا وتونس والجزائر ومراكش الخ .. ومهما تنازلت المانيا وايطاليا عن بعض المطالب فان خسارة فرنسا عظيمة مما يجعل الافرنسيين في المستعمرات وفي فرنسا نفسها ينتظرون بفارغ صبر تغيير الحال بانتكاس المحور وتغلب بريطانيا. والمفهوم ان الرأي العام الافرنسي لا يرغب في وضع عراقيل في وجه بريطانيا بمعاونة المانيا عليها. اما المارشال بيتان فقد صرح بان فرنسا تريد وهي مغلوبة ان تحافظ على شرفها، فموقفها حيادي بالضرورة. ويميل الالمان الى تعديل بعض الشروط الشديدة ازاء فرنسا لكي تساهم في وضع النظام الجديد لاوروبا، لان انهاء الحرب في اعتقادهم اهم من جلب المنافع. وقد سألت المطلعين من الالمان: كيف يمكن تخفيف شروط الصلح على فرنسا؟

قالوا ان نظام اوروبا الجديد يتطلب تأسيس كيان اوروبي اقتصادي عام يكون اشبه بالشركة المساهمة ، ويكون لكل شعب حصة او سهم من الارباح والاعمال في استغلال ثروات افريقيا وغيرها من المستعمرات . وهذا العمل قد يُرخي فرنسا. ولكنهم اكدوا ان فرنسا سوف تبقى من الناحية العسكرية رهن النفوذ الالماني ولم ينكروا ان المنافع وحدها لا تكفي لارضاء عزتها الوطنية و كرامتها القومية وهي الدولة التي كانت تحتل المركز الاول بعد الحرب العالميه الاولى .

٣ ــ ويتطلب الاستيلاء على افريقيا طرد الانكليز من مصر وتركيا واليونان وسوريا ولبنان وفلسطين . والالمان مهتمون باقفال ابواب البحر الابيض المتوسط على بريطانيا ، ومقتنعون بأنه لا بدّ من اقتحام تركيا واليونان والهجوم على مصر . ولكنّ موقف روسيا ، كما لا يخفى ، هو الحائل دون تنفيذ هذا البرنامج في الوقت الحاضر . واني اعتقد ان تركيا سوف تحارب من يعتدي عليها ، وهي تعيش على حساب التوازن الاوروبي ، أي توازن القوى الدولية في اوروبا وروسيا والبحر الابيض المتوسط . فاذا انهارت بريطانيا تعرضت تركيا لخطر المحور ، ومن مصلحة تركيا ان لا يبقى البحر الابيض المتوسط تحت سيطرة ايطاليا وحدها ، او في مجالها الحيوي ، وان يكون هنالك توازن يجعلها

بمثابة مرجح لاحدى الكفتين . والالمان يعتقدون ان لتركيا «حوالي شهر ايلول سنة ١٩٤٠ » ٣٠٠ الف جندي في تراقيا ، وان لانكلترة مثل هذا العدد. ومع أني ، استناداً على المعلومات التي لدي ، اعتقد ان انكلترة ليس لها سوى ٤٠ أو ٥٠ الف جندي في الجبهة المصرية ، فاني لم ابد للالمان هذه الملاحظة ، لانه ليس من مصلحة العرب ان يتمكن المحور من اقتحام الجبهة المصرية ونقل الحرب الى داخل مصر .

وقد لاحظت في مواقف متعددة ان الالمان يشكون في مقدرة الجيوش الايطالية على الرغم من انهم يعترفون بأن ايطاليا تطورت تطوراً كبيرا منذ ابتداء العهد الفاشيستي .

اليابان وسياستها

انضمت اليابان الى المحور وأخذت على نفسها تعهدات مهمة في مقدمتها شغل الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى في الشرق الاقصى . ولكن المانيا تعتقد ان اليابان تبدد قواها في مجاهل الصين . وبما اننا لا نزال في ابتداء الحرب العالمية الثانية ، فلا بد من حدوث تطورات عظيمة في الشرق الاقصى . وما دامت اليابان غير داخلة في صفوف الدول المقاتلة فعلا ، فمن الخير للبلاد العربية ان تستفيد من اليابان ببيعها منتوجاتها والعمل

على مفاوضتها لمشترى الاسلحة . واليابان تريد ان تكسب اصدقاء في الشرق الواسع ، وهي تحبّذ نظرية المحور في « المجال الحيوي » وتؤيدها ، وتعتبر اليوم الشرق الاقصى ، وربما فيما بعد الشرق كله ، مجالا حيوياً لها .

ايطاليا

إن مقدار نفوذ ايطاليا في البلاد العربية يتوقف على نصيبها من النجاح حربياً في اخراج انكلترة من حوض البحر الابيض المتوسط ، وعلى مقدار جهود البلاد العربية في سبيل المحافظة على استقلالها .

المملكة العربية السعودية

إن المملكة العربية السعودية في حالة اقتصادية صعبة بسبب توقف موسم الحج وقلة المواد الغذائية وتحكم بريطانيا في البحر الاحمر . اما علاقات جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بالمحور فكانت مقطوعة فعلا . ومع ذلك فقد كان الملك يسعى لمعرفة اتجاهات المحور بواسطة رجاله السياسيين كالسيد خالد القرقني ، والسيد فؤاد حمزة وتاجر معروف كان مركزه في الحجر .

جنيف في ٢٩ رمضان المبارك ١٣٥٩ الى بغداد

الى الاخ صالح والابن عثمان المحترمين اطال الله بقاهما واخذ بايديهما

قد وصلني المكتوب الثاني الذي تاريخه ٢٥ مايو وفرحته . وقد صرت باعثاً اليكم بمكتوبين بواسطة برلين اولهما تاريخه وفق ١٢ ايلول وثانيهما تاريخه ٢٤ منه . ارجو تعريفي وصولهما مع تعريفي وصول هذا الذي انا كاتبه الآن وان تكتبوا الي بواسطة برلين

قضية الاعلان الرسمي الذي يُقترح على دولتي المحور الصراع به باعترافها باستقلال البلاد العربية التي انفصلت عن السلطنة العثمانية والبلاد العربية التي كانت مستقلة من قبل ذلك والبلاد العربية التي استقلت بعد الحرب العامة كالعراق ومصر هذه انا الفقير الى ربه متابعها من اكثر من سنة بكل اهتمام ولا سيما في برلين وقد اقترحتها شفاهاً ثم بعد ايابي من برلين الى سويسرة في اول شهر رمضان الفائت كتبت بشأنها عدة مرات وكانوا يجيبون انهم اذاعوا ذلك بالراديو وكنت اجيبهم ان كلاماً يذهب في الهواء لا عدة تصريحاً رسمياً فنحن لاجل اطمئنان الامة العربية نريد تصريحاً خطياً من الحكومة الالمانية بذلك تنشره الجرائد وتذيعه المذاييع . وكلما طالبناهم بهذا عمدوا الى الراديو فكرروا الشيء نفسه وعدنا نحن الى الكتابة قائلين : هذا لا نعده تصريحاً رسمياً وانما نريده بالورق منشوراً بالصحف . والى الآن لم نحصل عليه حسبما طلبناه . اضف على نية انهم لا يريدون ان يتقيدوا بازاء العرب بتصريح رسمي في مسئلة جليلة كهذه ؟ اضف لانهم لا يجدونني كافياً لامثل العرب في طلب كهذا وهم ينتظرون صدور هذا الطلب عن ابن سعود والامام يحيى والحاج امين الحسيني وزعماء العراق وسورية ؟ اضف لانهم مشغولون بالحرب وبما هو اهم من هذا الآن ؟ لا اعلم . ولذلك قلت لكم في كتابي السابق ان تطلبوا اليهم هذا الطلب لورق موقعاً عليه من زعماء العرب العراقيين وتأخذوا مثله من الزعماء السوريين وان امكن ان يجيئوا الجماعة الدمامين ليقترحها على برلين هذا الاقتراح وانا لو كانت البوسطة حرة لكتبت اليها بذلك ولكن من شهر ابريل جاءني من جماعة عبد العزيز مكتوب فتحته المراقبة الانكليزية والصقت عليه علامة الفتح وكتبت اليه بما وجدت وقدمت له الورقة المكتوب عليها بالانكليزي انه فتح فما جاءني جواب فعلمت ان البوسطة في ايدي ضولة الجماعة فقطعت مكاتبتي لها مع اني من اول الحرب كانت المكاتبة بيني وبين كل منها متصلة واظنني قد كنت ذا تأثير في ملازمتها للحياد فقد كان كل منها يجاوبني على كل كتاب طالباً مواصلة الكتابة اما ايطاليا فقد نصحت لها بان تطمئن المصريين على استقلالهم وانها ان كسرت الانكليز في مصر سجدت جنودها منها تحت الحال وكان قنصل ايطاليا في جنيف يبلغ ما اقوله تلغرافياً الى روما ويؤكد لي ان كتاباتي وآرائي تقدم الى موسوليني حالاً . وقد نشرت ايطاليا هذا البيان بالورق وكررته واعلنت زيادة عليه انها تعد القاهرة مدينة مفتوحة فلا ترميها بالقنابر وهكذا استجلبت الحكومة المصرية الى فكرة عدم الحرب.

واطمأن المصريون على مستقبلهم وابوا ان يدخلوا في الحرب برغم مساعي الانكليز في ادخالهم فيها وبرغم النقراشي واحمد ماهر واضرابهما . وقنصل ايطاليا الجزال هنا وهو بينهم من السياسيين يقول لي ان آرائي هذه اثرت كثيراً في خطة زعيم ايطاليا هذه

اخبرتكم في كتابي السابق انه يوم طلب فرنسا الصلح واجتماع الزعيمين الالماني والطلياني في مونيخ بعثت الى كل منهما ببرقية احداهما بشيفرة قنصلية المانيا والثانية بشيفرة قنصلية ايطاليا بانا لا نقدر ان نطيق وجود فرنسا في سورية ولبنان وكذلك مسلمو شمالي افريقية ينتظرون ساعة خلاصهم من فرنسا ونحن العرب مستعدون ان نحالف دولتي المحور محالفة اقتصادية سياسية وان لزم عسكرية بشرط ان دولتي المحور تعترفان لنا بالاستقلال التام الناجز indépendance complète et intégrale والي انا ذو صلاحية لذلك "

هذا لم يرد لي جواب منهما عنه وانا مقصدي ان يعرفا ماذا نريد حتى لا يقولا لنا في المستقبل : ما ذكرتم لنا شيئاً مما تطلبون

ثم ذكرت لكما في احد مكتوبي السابقين ان اشارة من برلين وردتني بابداء آرائي كيف يجب ان تكون حكومات البلدان العربية بعد هذا الحرب فحررت لائحة . ١ صلحة تتضمن ان تكون سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن مملكة متحدة confédération ثم ترتبط باتحاد آخر او بمحالفة مع العراق وكذلك مع المملكة السعودية وان اصر السوريون على الاتحاد بالعراق فلا بد من ارضاء ابن سعود بشرق الاردن وان رضي اهل فلسطين فتكون فلسطين وشرقي الاردن تحت سيادته .. هذا امر يفصل فيه مؤتمر عربي تشترك فيه كل البلاد العربية . ثم ان هذه الممالك ترتبط سياسياً واقتصادياً وعسكرياً مع المملكة السعودية والمملكة اليمنية داخلة فيها الحجاز والنواحي القسم وحضرموت والمكلا وينضم الى هذه المملكة ايضاً المملكة العمانية والبحرين والكويت . ثم تنعقد محالفة بين هذه الكتلة العربية ومصر المتحدة مع ستودانها فيكون المجموع نحو ٥٠ مليون نسمة . ووجود هذه الكتلة العربية ضروري للسلم العام اذ بقاء هذه البلدان مبعثرة يعرضها للتحطم سواء من جهة تركيا او من جهة دول اوربية فتنشب الحروب بسببها . وقد تكلمنا على معاهدة تحالف بين هذه الكتلة العربية ودولتي المحور اه ملخصاً . وانا خائف من خلف بين ابن سعود والعراق من اجل سورية ... اشرتما بان اذهب الى رومة . وبرلين رجل المفاوضة في هذا الشأن ولو ادى ذلك الى منع رجوعي الى سويسرة واحاك اني انا اكتب كل ما اريده من هنا الى برلين ورومة فهما تعلمان كل افكاري بواسطة قنصليتيهما هنا على اني لو تحققت ان سفري اليهما يأتي بالنتيجة المطلوبة لذهبت ولم ابال بعدم الرجوع ولكن الذهاب من دون دعوة من هناك قد يكون بلا نتيجة وافقد حرية الرجوع وتبقى عائلتي في جنيف وحدها وهي لا تستطيع ان تعيش ان لم اكن عندها واحوال المعيشة في اثناء هذه الحرب ضنك شديد . نحن في انتظار جوابكما والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته ،

ابو غالب

اعاد الله هذا الشهر المبارك عليكما
مائة عام بالسعد والاقبال

بعض الرسائل التي كانت تردنا من الامير شكيب ارسلان في اثناء اقامته في جنيف ، والتي يوضح فيها وجهة نظره في القضية العربية .

جنيف في ٣ رمضان المبارك ١٣٥٩ الى بغداد

الى الاخ صلاح والابن عثمان المحترمين اطال الله بقاهما واخذ بايديهما

قد وصلني المكتوب الثاني الذي تاريخه ٢٥ مايو وفهمته . وقد صرت باعثاً اليكم بمكتوبين بواسطة برلين اولهما تاريخه وفق ١٢ ايلول وثانيهما تاريخه ٢٤ منه ارجو تعريفي وصولهما مع تعريفي وصول هذا الذي انا كاتبه الآن وان تكتبوا الي بواسطة برلين

قضية الاعلان الرسمي الذي يقترح على دولتي المحور الاسراع به باعترافهما باستقلال البلاد العربية التي انفصلت عن السلطنة العثمانية والبلاد العربية التي كانت مستقلة من قبل ذلك والبلاد العربية التي استقلت بعد الحرب العامة كالعراق ومصر هذه انا الفقير الى ربه متابعها من اكثر من سنة بكل الحاح لا سيما في برلين وقد اقترحتها شفاهاً ثم بعد ايابي من برلين الى سويسرة في اول شهر رمضان الفائت كتبت بشأنها عدة مرات وكانوا يجيبون انهم اذاعوا ذلك بالراديو وكنت اجيبهم ان كلاماً يذهب في الهواء لا اعده تصريحاً رسمياً فنحن لاجل اطمئنان الامة العربية

نريد تصريحاً خطياً من الحكومة الالمانية بذلك تنشره الجرائد وتذيعه المذاييع . وكلما طالبناهم بهذا عمدوا الى الراديو فكرروا الشيء نفسه وعمدنا نحن الى الكتابة قائلين : هذا لا نعده تصريحاً رسمياً وانما نريده بالورق منشوراً بالصحف . والى الآن لم نحصل عليه حسبما طلبناه . أهذا على نية انهم لا يريدون ان يتقيدوا بازاء العرب بتصريح رسمي في مسألة جليلة كهذه ؟ اهذا لانهم لا يجدونني كافياً لامثل العرب وحدي في طلب كهذا وهم ينتظرون صدور هذا الطلب عن ابن سعود والامام يحيى والحاج امين الحسيني وزعماء العراق وسورية ؟ أهذا لانهم مشغولون بالحرب وبما هو اهم من هذا الآن ؟ لا اعلم . ولذلك قلت لكم في كتابي السابق ان تطلبوا اليهم هذا الطلب بالورق موقعاً عليه منكم ومن زعماء العرب العراقيين وتأخذوا مثله من الزعماء السوريين وان امكن ان تبعثوا الى جلالة الامامين ليقترحا على برلين هذا الاقتراح وانا لو كانت البوسطة حرة لكتبت اليهما بذلك ولكن من شهر ابريل جاءني من جلالة عبد العزيز مكتوب فتحته المراقبة الانكليزية والصقت عليه علامة الفتح وكتبت انا اليه بما وجدت وقدمت له الورقة المكتوب عليها بالانكليزي انه فتح فما جاءني جواب فعلمت ان البوسطة في ايدي هؤلاء الجماعة فقطعت مكاتبتي لهما مع اني من اول الحرب كانت المكاتبة بيني وبين كل منهما

متصلة واظنني قد كنت ذا تأثير في ملازمتها للحياد فقد كان كل منهما يجاوبني على كل كتاب طالباً مواصلة الكتابة . اما ايطاليا فقد نصحت لها بان تطمئن المصريين على استقلالهم وانها ان كسرت الانكليز في مصر سحبت جنودها منها في الحال وكان قنصل ايطاليا في جنيف يبلغ ما اوله تلغرافياً الى رومة ويؤكد لي ان كتاباتي وآرائي تقدم الى موسوليني حالا . وقد نشرت ايطاليا هذا البيان بالورق وكررته واعلنت زيادة عليه انها تعد القاهرة مدينة مفتوحة فلا ترميها بالقنابل وهكذا استجلبت الحكومة المصرية الى فكرة عدم الحرب واطمأن المصريون على مستقبلهم وابوا ان يدخلوا في الحرب برغم مساعي انكلترة في ادخالهم فيها وبرغم النقراشي واحمد ماهر واضرابهما . وقنصل ايطاليا الجنرال هنا وهو بينهم من السياسيين يقول لي ان آرائي هذه اثرت كثيراً في خطة زعيم ايطاليا هذه .

اخبرتكم في كتابي السابق انه يوم طلب فرنسا الصلح واجتماع الزعيمين الالماني والطلياني في مونيخ بعثت الى كل منهما ببرقية احداهما بشيفرة قنصلية المانيا والثانية بشيفرة قنصلية ايطاليا «بأننا لا نقدر ان نطيق وجود فرنسا في سوريا ولبنان وكذلك مسلمو شمالي افريقية ينتظرون ساعة خلاصهم من فرنسا ونحن العرب مستعدون ان نحالف دولتي المحور محالفة اقتصادية سياسية وان

لزم عسكرية بشرط ان دولتي المحور تعترفان لنا بالاستقلال التام الناجز Indépendance complète et Integrate واني انا ذو صلاحية لذلك »

هذا لم يرد لي جواب منهما عنه وانا مقصدي ان يعرفا ماذا نريد حتى لايقولا لنا في المستقبل : ما ذكرتم لنا شيئاً مما تطلبون

ثم ذكرت لكما في احد مكتوبي السابقين ان اشارة من برلين وردتني بابداء آرائي كيف يجب ان تكون حكومات البلدان العربية بعد هذا الحرب فحررت لائحة ٣٠ صفحة تتضمن ان تكون سورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن مملكة متحدة Confèderation ثم ترتبط باتحاد آخر او بمحالفة مع العراق وكذلك مع المملكة السعودية وان اصر السوريون على الاتحاد بالعراق فلا بد من ارضاء ابن سعود بشرق الاردن وان رضي اهل فلسطين فتكون فلسطين وشرق الاردن تحت سيادته . هذا امر يفصل فيه مؤتمر عربي تتمثل فيه كل البلاد العربية . ثم ان هذه الممالك ترتبط سياسياً واقتصادياً وعسكرياً مع المملكة السعودية والمملكة اليمنية داخلة فيها لحج والنواحي التسع وحضرموت والمكلا وينضم الى هذه المملكة ايضاً المملكة العمانية والبحرين والكويت . ثم تنعقد محالفة بين هذه الكتلة العربية ومصر المتحدة مع سودانها فيكون الجميع نحو ٥٠ مليون نسمة . ووجود هذه

الكتلة العربية ضروري للسلام العام اذ بقاء هذه البلدان مبعثرة يعرضها للخطر سواء من جهة تركيا او من جهة دول اوربية فتنشب الحروب بسببها . وقد تكلمنا على معاهدة تحالف بين هذه الكتلة العربية ودولتي المحور اه ملخصاً . وانا خائف من خلاف بين ابن سعود والعراق من اجل سورية . . .

اشرتما بأن اذهب الى رومه وبرلين لاجل المفاوضة في هذا الشأن ولو ادى ذلك الى منع رجوعي الى سويسرة والحال اني انا اكتب كل ما اريده من هنا الى برلين ورومه فهما تعلمان كل كل افكاري بواسطة قنصليتهما هنا على اني لو تحققت ان سفري اليهما يأتي بالنتيجة المطلوبة لذهبت ولم ابال بعدم الرجوع ولكن الذهاب من دون دعوة من هناك قد يكون بلا نتيجة وافقد حرية الرجوع وتبقى عائلتي وحدها وهي لا تستطيع ان تعيش ان لم اكن عندها واحوال المعيشة في اثناء هذه الحرب ضنك شديد . نحن في انتظار جوابكما والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته .

ابو غالب

اعاد الله هذا الشهر المبارك عليكما مائة عام بالسعد والاقبال

١٠/ ١٠/ ١٩٤٠

جنيف في ٧ شهر رمضان المبارك ١٣٥٩

حضرة ولدنا الاعز الاجل السيد عثمان كمال المحترم حفظه الله وادام توفيقه

اخذت اليوم كتابك رقم ٢١ شعبان وفهمت منه وصول كتابي المؤرخ في ١٠ شعبان . وسيصلكم إن شاء الله غيره فاني كتبت اليكم مكتوباً ثانياً في ٢٤ ايلول وفق ٢٤ شعبان ثم مكتوباً ثالثاً في ٧ تشرين الاول اي في ٤ رمضان وكل هذا على طريق برلين وها انا ذا الآن كاتب الرابع على الفور لما أوصيت به من ان لا اكتب اليك بعد ٢٠ رمضان لان الرسول لاينتظر إلا الي هذا التاريخ فعسى ان يدركه كتابي هذا وهو لا يزال في مدينة السلام .

أخبرتكم من قبل ان المكتوب الاول عاد فوصل وقد اعتذر عن تأخيره بعدم وصوله الى رومة في حينه . اما ان المانيا اعترفت لايطاليا بكونها سيدة البحر المتوسط فلا يستلزم ذلك مساس ايطاليا لاستقلال البلاد العربية فهذا شيء وذاك شيء آخر ولا أظن المانيا ستنظر الى البلاد العربية سورية وفلسطين والعراق وجزيرة العرب كمستعمرات لايطاليا ، ولو كان ذلك كذلك ما جاءتني اشارة من برلين لبيان آرائي فيما يجب ان يكون عليه

مستقبل الممالك العربية ، ثم لو كان ذلك كذلك ما جاءني اثنان من مأموري الخارجية الالمانية فطلبا اليّ ـ وذلك من ٢٠ يوماً ـ توصية الى جلالة ابن سعود وشبه اشارة تعريف الى من اعتمد عليهم في سورية . وانا مع كوني ارجح ان المانيا جعلت لحليفتها حق التقدم في الشرق الادنى لا اعتقد ان المانيا ستُلقي حبلها على غاربها فيه . ومع هذا فنحن إن كنا « اوادم » تقرب الينا كل من هؤلاء . واعترفوا باستقلالنا التام واكتفوا بالمحالفات التي لا تجحف بحقوقنا ومصالحنا وإن لم نكن « أوادم » كما كنا في بيئات كثيرة فلا تفيدنا المانيا ولو اصدر لنا هتلر فرماناً مطنطناً بكل استقلال نريده . وبالاختصار ان مسّت ايطاليا استقلال سورية او فلسطين او مصر ـ وهذا لا اظنه ـ نكون اعداءً لها بكل وجه وان وافقتها المانيا على ذلك نعادي المانيا ايضاً ونعود فنصالح اعداء دولتي المحور ونتفق مع الاتراك وان الجأ الامر مع البولشفيك فان الدنيا لا تصير كلها صفاً واحداً . فأي من اعتدى علينا صار حناه بالعداوة وصادقنا عدوه . لا تظنوا اني اكتب هذا في رسالة خصوصية لكم وللسيد صلاح فقد كتبته بامضائي في جريدة البيان الواصلة في طيه من باب الاحتياط لعل هذه المقالة لم تصلكم . وقد ترجمتها وبعثت بها الى روما صحبة مكتوب مني اؤيدها فيه وذلك بواسطة كورتيزي قنصل ايطاليا الجنرال هنا . ومثل ذلك فعلت تجاه المانيا تماماً . وانتم فابلغوا

من تجتمعون بهم من الطليان والالمان ذوي العلاقة بالسياسة اننا نحن لا نعتقد بانهم يغدرون ويفعلون افعال الانكليز والفرنسيس الا انه على فرض البعيد جرى هذا منهم فالامة العربية ستكون هذه خطتها كما قلت انا ولا حكمة غير هذه الحكمة .

قُرئ في بعض الجرائد المصرية ان العراق يقترح اعادة الحكومة الوطنية العربية في الشام فعسى ان يتم ذلك قريباً ويعود مجلس النواب السوري كما كان — لان حل فرنسا له كان من جمله الغصب — ويعود هاشم الاتاسي رئيساً للجمهورية ويكون شكري القوتلي رئيساً للحكومة السورية ويقصي عنها المذبذبون ... ولا يلزم انتظار نهاية الحرب فمن يعلم متى تكون نهايتها ؟ وليس عندي من الاخبار إلا ماتعلمونه بالجرائد والراديو وعسى ان يكون وراء اجتماع هيتلر وموسوليني تدابير يقصر بها اجل الحرب (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) وسلامي الى صلاح افندي الذي ذكره ورد في تقريري الذي تقدم الى برلين في ٢٢ آب وقيل فيه انه لا بد ان يؤخذ رأيه في كل مسألة عربية وانه أعظم خصم رأته انكلترة في طريقها الى الشرق الادنى هكذا بالحرف لا أزال اتوجس خيفة الخلاف بين ابن سعود والعراق من اجل سورية في المستقبل وعلى الله فليتوكل المتوكلون .

المخلص ابو غالب

١٩٤٠/١٠/١٠

جنيف في ٧ شهر رمضان المبارك ١٣٥٩

حضرة ولدنا الارعز ارجل السيد عثمان كمال المحترم حفظه الله وادام توفيقه

اخذت اليوم كتابك رقم ٢١ شعبان وفهمت منه وصول كتابي المؤرخ في ١٠ شعبان. وسيصلكم ان شاء الله غيره فاني كتبت اليكم مكتوباً ثانياً في ٢٤ ايلول وفق ٢٤ شعبان ثم مكتوباً ثالثاً في ٧ تشرين الاول اي في ٤ رمضان وكل هذا على طريق برلين وها انا ذا الان كاتب الرابع على الفور لما اوصيت به من ان لا اكتب اليك بعد ٢٠ رمضان لان الرسول لا ينتظر الا الى هذا التاريخ فعسى ان يدركه كتابي هذا وهو لا يزال في مدينة السلام

اخبرتكم من قبل ان المكتوب الاول عاد فوصل وقد اعتذر عن تأخيره بعدم وصوله الى رومة في حينه. اما ان المانيا اعترفت لايطاليا بكونها سيدة البحر المتوسط فلا يستلزم ذلك مساس ايطاليا لاستقلال البلاد العربية فهذا شيء وذاك شيء آخر. وداخل المانيا ستنظر الى البلاد العربية سورية وفلسطين والعراق وجزيرة العرب كمستعمرات لايطاليا. ولو كان ذلك كذلك ما جاءني اشارة من برلين لبيان آرائي فيما يجب ان يكون عليه مستقبل الممالك العربية. ثم لو كان ذلك كذلك ما جاءني اثنان من مأموري الخارجية الالمانية فطلبا الي - وذلك من ٢٠ يوماً - نوصية الى جلالة ابن سعود وشبه اشارة تعريف الى من اعتمد عليهم في سورية. وانا مع كوني ارجح ان المانيا جعلت لحليفتها حق التقدم في الشرق الادنى لا اعتقد ان المانيا ستلقي حبلها على غاربها فيه. ومع هذا فنحن ان كنا "اوادم" تقرب الينا كل من هؤلاء واعترفوا باستقلالنا التام واكتفوا بالمحالفات التي لا تجحف بحقوقنا ومصالحنا وان لم نكن "اوادم" كما كنا في بيانات كثيرة فلا تفيدنا المانيا ولو اصدر لنا هتلر فرماناً سلطانياً بكل استقلال زيده. وباختصار ان مشت ايطاليا استقلال سورية او فلسطين او مصر - وهذا لا اظنه - تكون اعداءً لها بكل وجه وان وافقتها المانيا على ذلك تعادي المانيا ايضاً وتعود فتصالح اعداء دولتي المحور وتتفق مع الدنراك وان الجأ الدور مع البولشفيك فان الدنيا لا تعير كلها صفاً واحداً. فاي من اعتدى علينا صارحناه بالعداوة وصادقنا عدوه لا تظنوا اني اكتب هذا في رسالة خصوصية لكم والسيد صلاح فقد كتبته بامضائي في جريدة البيان الواصلة فيما

طيه من باب الاحتياط لعل هذه المقالة لما تصلكم.. وقد ترجمتها وبعثت بها الى رومة خصوصي سنى اؤيد ما فيه وذلك بواسطة كورتيزي قنصل ايطاليا بجنيف هنا. ومثل ذلك فعلت تجاه المانيا تماماً. وانتم فابلغوا من تجتمعون بهم من الطليان والالمان ذوي العلاقة بالسياسة اننا نحن لا نعتقد بانهم يقدرون ويفعلون افعال الانكليز والفرنسيس الا انه على فرض البعيد جرى هذا منهم فالامة العربية ستكون هذه خطتها كما قلت انا ولا حكمة غير هذه الحكمة

قرئ في بعض الجرائد المصرية ان العراق يقترح لاعادة الحكومة الوطنية العربية في الشام فعسى ان يتم ذلك قريباً ويعود مجلس النواب السوري كما كان - لان حل فرنسا له كان من جملة الغصب - ويعود هاشم الاتاسي رئيساً للجمهورية ويكون شكري القوتلي رئيساً للحكومة السورية ويقصى عنها المذبذبون.... ولا يلزم انتظار نهاية الحرب فمن يعلم متى تكون نهايتها؟ وليس عندي من الاخبار الا ما تعلمونه بالجرائد والراديو وعسى ان يكون وراء اجتماع هتلر وموسوليني تدابير يقصيا بها اجل الحرب! وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم

وسلامي الى صلاح افندي الذي ذكره وارد في تقريري الذي تقدم الى برلين في ٢٢ آب وقيل فيه انه لا بد ان يؤخذ رأيه في كل مسئلة عربية وانه اعظم خصم رأته الحلفاء في طريقها الى الشرق الاوسط هكذا بالحرف

لا ازال اتوجس خيفة الخلاف بين ابن سعود والعراق من اجل سورية في المستقبل وعلى الله فليتوكل المتوكلون

المخلص
ابو غالب

برلين ١٥/٨/١٩٤٠

بيان باسماء رجال الخارجية الالمانية الذين اتصلنا بهم

وزير الخارجية : الهر فون ريبنتروب

سكرتير الدولة الاول : فون واتيز سزكر

مدير السياسة الخارجية ومعاون سكرتير الدولة : الهر فورمان

معاون مدير السياسة الخارجية : السفير فون رينتلن

مدير القسم الشرقي في وزارة الخارجية سابقا : فون هنتيك

سفير المانيا في بغداد سابقا : الهر غروبا

مدير القسم الشرقي في وزارة الخارجية : الهر ملشرز

مدير القسم الشرقي التابع لقيادة الجيش العليا : الماجور فون اشفيجا

مدير القسم العربي التابع لقيادة الجيش العليا : الماجور فون شتولزه

بقيت في بغداد طيلة شهر تشرين ثاني (نوفمبر) وكانون اول (ديسمبر) سنة ١٩٤٠ . وفي هذه الاثناء أخذنا ندرس الوضع على ضوء الحوادث في اوروبا . وأهمها ان ايطاليا منيت في اليونان باندحار مريع ، وان اليونانيين أظهروا من الشجاعة ما لم يكن في الحسبان . وبالنسبة للبلاد العربية فان انكسار ايطاليا لم يزعجنا ، بل على العكس من ذلك ، فقد استبشرنا خيراً بالامر ، وكان رشيد بك والقود العراقيون يدركون ان ايطاليا تشكل خطراً كبيراً على البلاد العربية ، وكان هذا الشعور طبيعياً بسبب ما لقيته طرابلس الغرب من ظلم الطليان واضطهادهم للعرب فيها . ورغم ما كنا نشعر به جميعا من العداء نحو بريطانيا بسبب سياستها الاستعمارية في البلاد العربية وسياستها اليهودية في فلسطين ، فان قلوبنا لم تكن مستعدة قط للترحيب بانتصارات ايطاليا ، لان هناك نقطة مهمة جعلت خوفنا من ايطاليا أعظم من خوفنا من انكلترة ، فان ايطاليا بلد كثير التناسل ، وفي وسعها ان تقذف بمليون مهاجر سنوياً من السكان الذين تضيق بهم الى البلاد العربية ، وفي هذا ما فيه من الخطر العظيم على العرب .

ان الحالة العامة في اوروبا لا تزال غامضة ، فان موقف روسيا لم يتضح بعد ، والمانيا لا بد لها ان تقتحم البلقان وتقدم ما يمكنها من المعونة لانتشال حليفتها ايطاليا مما اوقعت فيه نفسها من جراء تحرشها باليونان . وبعد اجتماعات عديدة في بغداد ، استعرضنا الحالة العامة ، فاذا بها كما يأتي :

أولا — ان مصلحة العراق خاصة والعرب عامة تتطلب المحافظة على الحياد التام لاسباب كثيرة أهمها :

١ — عدم استقرار الوضع السياسي بين المانيا وروسيا . فانه تحقق لنا ان الالمان يضمرون العداء للروس وان ميثاق ٢٥ آب سنة ١٩٣٩ المعقود بين المانيا وروسيا لم يكن غرض الجانبين منه سوى كسب الوقت .

٢ — إن البلاد العربية ضعيفة جداً من الوجهة العسكرية وهي لا تتحمل الصدمات لا من المحور ولا من أعدائهم .

٣ — مهما حاولنا ان نحصل على تصريحات من جانب المحور ، فان هذه لا تكفي مطلقاً لتقرير المصير .

٤ — إن الحرب فرصة ثمينة يجب العمل في أثنائها لأخذ اكبر قسط ممكن من الحقوق للامة العربية .

وعلى هذا الاساس استقر الرأي بين رشيد بك وقواد

الجيش على ما يأتي :

أولا ــ الالحاح على المانيا ان تكون المساعدات عبر روسيا وايران، متذرعين بالقول (١) بأننا لا يمكننا الاعتماد على المساعدات عبر تركيا ، فهي سوف تقطع يوماً ما ، لان تركيا لا ترغب فيها مراعاةً لمصلحتها الخاصة . (٢) بأن طريق القفقاس ــ ايران اسهل بكثير بسبب تحرر ايران من النفوذ الانكليزي وميلها الى المانيا . ومصلحة العرب تقضي بأن نتجاهل ما بين روسيا والمانيا من كراهية وتنافس ، فاذا تمكنت المانيا من اقناع روسيا بمرور الاسلحة عبر القفقاس كان هذا دليلاً على حسن العلاقات بين الطرفين ، وإلا فهي سيئة . وفي هذه الحال يجدر بنا ان نكون شديدي الحذر في علاقاتنا مع المحور ، وأن نمتنع عن كل مايثير شكوك الانكليز متظاهرين لهم بالتودد والرغبة في التفاهم والتعاون .

ثانياً ــ وعلى كلتا الحالتين ، اي لو فرضنا حسن العلاقات بين روسيا والمانيا أو افترضنا عكس ذلك ، فانه من مصلحة العرب التقرب من روسيا وتحسين العلاقات معها ، وتبادل السفراء ، لانه في حالة حسن العلاقات بين المحور وروسيا (وهذا غير ملحوظ) فانه من الضروري تقوية الجيش العراقي بالاسلحة التي يمكن استحضارها عبر القفقاس برضاء روسيا ومعرفتها .

واذا كانت العلاقات المذكورة غير حسنة (وهذا ملحوظ) فان ذلك يدفعنا للاتفاق على شكل ما مع الانكليز بصورة تحسن وضع العرب بعد الحرب، ومن ثم تحسين العلاقات ايضاً مع روسيا التي لايبعد ان تعقد تحالفاً مع بريطانيا العظمى وأصدقائها .

وعليه كتب رشيد بك الى أخيه كامل بك الكيلاني سفير العراق في انقره طالباً اليه مقابلة السفير الروسي وإعلامه بأن الحكومة العراقية تود تنظيم العلاقات الودية بينها وبين الاتحاد السوفياتي وتبادل السفراء بين البلدين وهي لذلك تطلب من الحكومة الروسية ان تعترف رسمياً باستقلال البلاد العربية استقلالا تاماً ناجزا .

وقد قابل كامل بك السفير الروسي الذي أظهر ارتياحه لهذا الامر واتصل بحكومته لاخذ الجواب النهائي .

أما أنا فقد تقرر سفري الى انقره لمواجهة كامل بك ومراقبة ما يطرأ على الموقف الروسي ثم مواجهة فون بابن سفير المانيا في تركيا ، والسفر بعد ذلك الى برلين .

تأسيس حزب عربي قومي

في هذه الاثناء اجتمع اقطاب الحركة في بغداد واتخذوا القرار الآتي :

« إن هدف الحركة القومية العربية هو تحرير العالم العربي وتوحيد أجزائه كافة ، وإنشاء نظم سياسية واقتصادية واجتماعية فيه أعدل وأصلح من النظم الراهنة ، تستهدف ترقية مستوى الشعب ، وزيادة رفاهه المادي والمعنوي ، وجعله قادراً بذلك على المساهمة في العمل لخير المجموع البشري . وهذا الهدف العام لا يمكن تحقيقه إلا بوجود برامج مفصلة تتناول حياة العربي في مختلف النواحي ، وترسم ما يجب ان يعمل في كل منها ليلوغ الهدف المطلوب .

ولكن البرامج المفصلة وحدها لا تكفي ، وما كانت يوماً لتنفذ نفسها بنفسها ، لذلك يجب ان يقوم على تنفيذها حزب عربي قومي عام ، يدعو للاصلاح ويعمل له ، ويسعى لتولي الحكم وتسييره حسب المنهج القومي ، ويقف موقفاً سلبياً من الحكم الاجنبي (في البلدان العربية التي ترزح تحت نير الاستعمار) لانه غير شرعي ، ولا يصلح التعامل معه .

وعلى هذا الاساس تقرر درس إنشاء حزب قومي عربي في اول فرصة ممكنة .

سفرتي الثانية الى المانيا

سافرت في اليوم العشرين من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤١ الى انقرة . وهنـاك اتصلت بسفير العراق كامل بك الكيلاني . وفي تاريخ ٢٩ ـ ١ ـ ١٩٤١ أرسلت الى فخامة رشيد بك رئيس الوزارة العراقية بواسطة اخيه كامل بك الكتاب التالي من انقره :

سيدي

١ ـ أوصاني كامل بك بلزوم عدم التهور وانتظار الربيع حتى تنقشع الغيوم . وكنا متفقين بالنهاية تمام الاتفاق والحمد لله ، لاني أوضحت له انه يهمنا بالدرجة الاولى تقوية العـراق ، وانه ربما تصل الذخائر الحربية الى العراق تكون الغيوم قد انقشعت والامور انجلت .

٢ ـ وقد أفهمته ان الرأي السائد في بغداد هو عدم الفائدة من بريطانيا وانه لا يرجى منها اي امل في تحقيق بعض مطالب العرب ، وان الحالة بيننا وبينها لا تزال على ما استقرت عليه من قبل بترك الامور معلقة الى مابعد الحرب ، ومع ذلك فان رشيد بك يريد إعادة الكرة وتقديم شروط جديدة ايجابية للوصول الى عقد معاهدة تؤمن للعرب استقلال سوريا ولبنان وفلسطين .

فطلب إليّ كامل بك ، مصراً اصراراً شديداً ، ان تدعوه وزارة الخارجية العراقية حالا لبغداد لكي يدلي اليها بمسائل مهمة جداً تتعلق بموقف تركيا ، لانه لا يمكنه ان يطلع أحداً عليها بصورة من الصور ، ومن الضروري المناقشة فيها . وبما ان رفيقته في بغداد فليكن استدعاؤه عن طريق اجازة بسيطة لزيارتها .

٣ ــ كان كامل بك موافقاً تمام الموافقة على أن استئناف العلاقات بينكم وبين روسيا امر ضروري في كل الاحتمالات الممكنة . ويجب ان تخبروه رسمياً بواسطة وزارة الخارجية ليقدم طلباً بذلك حسب الاصول لسفير روسيا ، لانه هكذا طلب منه ، وعند ذلك يمكن طلب تصريح بالاعتراف باستقلال البلاد العربية من جانب الحكومة السوفياتية . ولا يخفى ان هذا الموضوع يهمنا لجلب السلاح من قفقاسيا عبر ايران الى العراق . واني أضم صوتي الى صوت كامل بك راجياً تحقيق هذا الطلب بأسرع ما يمكن خصوصاً لان الانكليز لا يمكنهم التظاهر بالاعتراض خوفاً من اغضاب موسكو (وقد توفرت الادلة على حسن علاقات روسيا مع انكلترة) ، ولان العلاقات المراد انشاؤها مع روسيا هي اقتصادية لا غير .

٤ ــ فهمت من كامل بك ان الحكومة التركية تنظر بعين العطف الى حكمت بك سليمان ، وأنه يسرها رجوعه من منفاه الى بغداد .

٥ ــ اجتمعت مرتين بسفير المانيا في تركيا الهر فون بابن فقال لي : « ان المانيا ساخطة على ايطاليا ، لانها كانت السبب الرئيسي في عدم وصولك الى نتيجة مرضية عند قدومك الاول الى برلين . لان مطامع ايطاليا لم يكن لها حد رغم نصائحه ونصيحة جماعته لها . ولكن ما العمل ؟ أما الآن فقد تغيرت الدنيا وما عليها وجاء موسوليني الى برجس غارتن سراً ملقياً سلاحه امام هتلر ، مخففاً من غلوائه و كبريائه تجاه الوضع العسكري في اليونان ، طالباً ان تأخذ المانيا كل شيء على عاتقها في البلقان بدون قيد ولا شرط . ثم تكلمت معه بخصوص المساعدات العسكرية فقال انه واثق بأن المانيا مستعدة الآن للموافقة على جميع المساعدات ، والدليل على ذلك انه تناول اليوم برقية من برلين سئل فيها عما اذا كان بالامكان شحن سلاح عن طريق تركيا برسم الترانسيت وانه اجاب بالسلب ، وان هذا العمل يعد غير حكيم ، وان سبب هذا السؤال هو ان طريق راوندوز مقفل لكثرة الثلوج ، وسيظل كذلك حتى نيسان . ومع ذلك فانه سوف يراسل سفير المانيا في طهران لاخذ معلومات اضافية . ثم ان المانيا خابرت اليابان لمعرفة ما وصلت اليه العقود التجارية والصفقات التي ابتدأت السفارة اليابانية في بغداد بمفاتحة حكومة طه باشا الهاشمي بأمرها وقد جاء الجواب بأن المسالة موقوفة لاسباب

معينة تتعلق بطريقة الدفع . ولكنه قال إن مسألة الدفع هذه يجب ان لا تحول دون اتمام الصفقات ، وهي بسيطة ، لان المانيا تتعهد لليابان بتسديد القيمة من جانبها عنكم بلا أدنى مراجعة .

قلت : « ان سفير ايطاليا في بغداد يسألنا ويطلب بالحاح معرفة جنس التمور والجلود اذا كانت مجففة أم لا ، والصوف واجناسه ونماذجه ، واذا كان مغسولا أم لا ؟ » فضحك فون بابن حتى استلقى على ظهره ، وقال « نقدم نحن الآن في الواقع لايطاليا نفسها كل اللوازم الحربية مجانا ، ومع ذلك أرى ان نذهب رأساً الى برلين » ، فأقنعته بلزوم عدم استفزاز ايطاليا رغم كل ذلك ، ووافق على ان أذهب في اول الامر الى روما ثم منها الى برلين . وقد أبرق لالمانيا داعياً الى مؤازرتنا . فجاء الجواب بلزوم سرعة قدومي . وذكر انه أخذ من فون هنتيك في سوريا كتاباً يوضح فيه الحالة هناك وان الجنرال دنيس قائد جيش فيشي في سوريا ولبنان مستعد للسير حسب رغبة المانيا ، ولكنه ضعيف . فكتب هو (اي فون بابن) الى برلين للضغط على فيشي لتقويته سياسيا .

٦ــ لاحظت ان فون بابن غير مرتاح الى روسيا ووضعيتها لانه قال ان انكلترا أخذت تتصل بروسيا اتصالا قوياً وان هناك تصريحات في مجلس العموم البريطاني في جلساته السرية والعلنية

تدل على عقد اتفاقيات تجارية بين روسيا وبريطانيا العظمى ، وان سفير بريطانيا في موسكو اخذ في تحسين العلاقات بين روسيا وانكلترة . ولكن لاحظت ان فون بابن أدرك ان وضع روسيا هذا ربما أثّر فيّ تأثيراً سيئا ، فقال : « وعلى كل حال لا خوف على علاقاتنا مع روسيا ، لان حالتها الداخلية قد تدعوها الى مداراتنا وعدم اغضابنا » . واذا علمنا ان فون بابن هو الرجل الذي هيأ الميثاق الروسي الالماني في ٢٥ آب (اغسطس) سنة ١٩٣٩ ، أدركنا ما لآرائه بهذا الصدد من قوة واهمية ، ولكني شعرت رغم كل شيء انه غير مرتاح الى وضع روسيا ، لانه اخذ يهدد بقوة المانيا مشيراً الى أنّ روسيا تخشى المانيا بسبب حالتها الداخلية وتخاف ان ينهار النظام الشيوعي اذا هي حاربت المانيا .

٧ ــ وهنا الفت نظر فخامتكم الى ضرورة مشترى بنزين وزيوت للطائرات والسيارات وعلى الاخص للطائرات بكميات كبيرة واخفائها في أمكنة متعددة ، وكذلك مشترى ذهب ولوازم سيارات اذا قُدّمت مساعدات للعراق عن طريق ايران وسوريا .

وبعد هذا الكتاب سافرت الى استانبول ومنها الى بلغاريا وايطاليا ، ثم الى برلين . وفي ١٧ شباط (فبراير ١٩٤١) كتبت

الى فخامة رشيد بك الكتاب الآتي (بالشيفرة) :

سيدي

١ــ اجتمعت مع اصحاب الشأن هنا ، وأصررت على وجوب ارسال المساعدات الحربية من طريق روسيا ــ راوندوز ولكني أُجبت بأن ذلك غير ممكن لاسباب سياسية وفنية . فمن الاسباب السياسية ان العلاقات اخذت تسوء بين المانيا وروسيا ، وان هذه الاخيرة لم تقم بما تعهدت به لالمانيا من تقديم المواد الغذائية (القمح وغيره) ، وانه غير ممكن التقدم الى روسيا بمطالب جديدة الآن . اما الاسباب الفنية فمنها ان طريق راوندوز مقفل لآخر نيسان بسبب تراكم الثلوج . وقد فهمت ان المانيا ستقوم في الربيع بأعمال جبارة في منطقة البحر الابيض المتوسط . وبما ان ايران والافغان اتفقتا مع تركيا والعراق على ارسال ما اشترتاه من الاسلحة بطريق رومانيا ــ صامسون (تركيا) ومنها الى الموصل ، فمن الممكن ان يرسل الالمان بضاعة الى ايران والافغان عن طريق الموصل على ان يبقى قسم من هذه البضاعة في العراق .

٢ــ ولا بد ان تبقى مسألة السلاح هذه سراً مكتوما لايطلع عليها غير الخاصة من ذوي الشأن . وشركة الشحن الالمانية هي التي تقوم بهذه المهمة . فاذا وصلت البضاعة أُخرج منها مايخصنا

وأُرسل الباقي الى ذوي العلاقة في ايران والافغان . اما المقدار الذي يخصنا من البضاعة المرسلة فيكون ستة او سبعة صناديق مثلاً بين عشرين لغيرنا .

٣ ــ فهمت من الشعبة الحربية انه عند وقوع حرب بين الانكليز والعراق يمكن امدادكم بكل ما تريدونه من قاذفات القنابل التي يمكنها قطع مسافات بعيدة ، اما الطائرات الصغيرة المقاتلة فلا يمكنها ان تقطع المسافة من رودس الى العراق . ويرى الالمان ضرورة احتلال مطار سن الدبان (الحبانية) بسرعة مفاجئة لاتقاء شر الحوادث المقبلة . ويطلبون منكم بالحاح زيادة المدخر من بنزين الطائرات وهو نوع خاص من البنزين يعرفه خبراء الجيش ، ولا يمكن استعمال بنزين السيارات للطائرات .

٤ ــ فهمت ان سفير اليابان أُوعز اليه بالتساهل مع طه باشا الهاشمي (وزير الدفاع) . وفهمت ان هناك احتمالا كبيراً لاصطدام اليابان بانكلترة في سنغافورة ، وان اليابانيين سوف يسيطرون بسهولة على المحيط الهندي وربما الخليج الفارسي . ومع ذلك فان الالمان يخشون الولايات المتحدة ولا يريدون من اليابانيين ان يظهروا نشاطاً في المحيط الهندي تضطر ازاءه الولايات المتحدة الى دخول الحرب . ولكن يصعب اقناع البحرية اليابانية بعدم المجازفة لانها تعتقد أن هذه أحسن فرصة لليابان ولن تتاح

لها مناسبة أفضل منها .

٥ ــ وفهمت ايضاً ان المفاوضات جارية لوضع الاسطول الايطالي بيد الالمان بسبب عجز الطليان عن حسن استخدامه . مع انه كان بامكانهم السيطرة على البحر الابيض لو توفرت لهم الكفاءة لذلك .

٦ ــ تسعى المانيا لاقحام اسبانيا في الحرب وتعدها بتحقيق ما تريده لقاء تسهيل مرور جيوشها الى جبل طارق ، ولكن الهر « كروكر » Kruger قنصل المانيا في الريف الاسباني قال لي إنه يائس من إمكان قبول اسبانيا السير في ركاب المانيا .

٧ ــ اني اعتقد ان القضية العربية سوف تربح من انكسار ايطاليا .

٨ ــ الالمان يحاولون اقناعي بضرورة ارجاع العلاقات الدبلوماسية بينهم وبين العراق . فأفهمتهم ان المسألة أصعب كثيراً مما يظنون ، وان الاقدام على ذلك قد ينتهي بما لا تحمد عقباه ، وأبنت لهم ان الانكليز وجهوا انذارات عديدة الى الحكومة العراقية بهذا الصدد ، فاقتنعوا بوجهة نظرنا . وكانوا يرغبون في ارسال هيئة اركان حرب سرية تحت اسماء محايدة ولكنهم عدلوا . وصارحتهم انه ليس في نية العراق محاربة انكلترة ولكنه يريد الاحتياط فيما اذا أرادت انكلترة اجباره على ترك الحياد لمصلحتها

٩ ــ إذا سألكم الطليان عما تم بيننا وبين الالمان ، فالرجاء اعطاؤهم أجوبة غامضة ، والتلميح الى أنه لم يتم شيء حتى الآن ، ولم نصل بعد الى نتيجة . هكذا يريد الالمان وهم مسرورون لان حلفاءهم الطليان خففوا كثيراً من غلوائهم وما كانوا ليرعووا لولا فشلهم .

١٠ ــ لقد وقعت تركيا اتفاقية مع بلغاريا وذلك بمعرفة المانيا ، والمراد من الاتفاقية سحب جيوش الطرفين المحتشدة على الحدود . لان العسكريين الالمان لا يرون فائدة تذكر من مهاجمة تركيا الشاسعة ومد خطوطهم الحربية الى الاناضول ، وربما أثار ذلك استياء روسيا كما حدث من قبل لدى احتلال رومانيا ، وكان له تأثير سيء في العلاقات السياسية بين الروس والالمان . واذا أضفنا الى ذلك ما تواجهه المانيا من صعوبة في سياستها مع يوغوسلافيا نرى انها تجتنب الوقوع في عداء مع تركيا ، وكل ما ترمي اليه هو استمرار تركيا على حيادها الحالي . ومصلحة تركيا في هذا الحياد ظاهرة وهي تعمل له بمهارة ، لابعاد شبح الحرب عن بلادها واجتناب ماقد يلحقها من تمزيق اذا ما انقضت عليها المانيا وروسيا والعناصر الكردية والارمنية (اريفان) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

برلين ١٩٤١/٢/٢٠

سيدي

اقترحت عليّ وزارة الخارجية الالمانية عقد اجتماع في بغداد يحضره سفيرا اليابان وايطاليا وسفير الماني يأتي من سوريا ، للبت في المسائل المعلقة بين الطرفين ، أعني بيننا وبينهم . ولكن أوضحت لهم الموقف العدائي الذي ستتخذه الحكومة البريطانية عندما تعلم بعزم العراق على اعادة العلاقات بينه وبين المانيا وأن هناك اجتماعاً سرياً معقوداً في بغداد لهذه الغاية . ولا شك أنها تعتبر ذلك عملاً عدائياً موجها ضدها وضد مصالحها الحيوية ومركزها التحالفي مع العراق ، فتعمد الى اتخاذ اجراءات حربية ضد العراق من جهة وتهدده من الوجهة المالية الاقتصادية من جهة اخرى بسبب سيطرتها على منفذ العراق البحري الوحيد اي ميناء البصرة . وان العراق لا يستطيع في وضعه الحاضر مقاومة هذا الاعتداء البريطاني ، لذلك ليس من مصلحة المانيا ان يعرض العراق نفسه للخطر مالم يكن واثقاً من الحصول على المساعدة الحربية والاقتصادية المستمرة التي يتلقاها عن طريق روسيا — ايران . وها نحن نرى تركيا قد نالت من بريطانيا مساعدات مالية عظيمة وكميات وافرة من الذخائر والمؤن الحربية ، فمن المعقول ان ينال مثلها العراق من المانيا لمجابهة الاخطار

المتوقعة كافة . وقد أكدت لهم ان الاسراع في اعلان استقلال سوريا له اكبر الاثر في توجيه الرأي العام العربي نحو دول المحور، وتشجيع بقية الاقطار العربية على استئناف الكفاح في سبيل الحرية والاستقلال .

وقد لاحظت ان الالمان يريدون توريطنا في نزاع مسلّح مع بريطانيا يهدفون من ورائه الى خلق اضطراب لبريطانيا العظمى في الشرق الادنى يساعدهم في حركاتهم المقبلة في ليبيا وفي البحر الابيض المتوسط عن طريق اليونان ـ سوريا . فمن الضروري الا ننزلق الى مثل هذه السياسة الخطرة وان لا نحيد عما تقرر في اجتماع بغداد الاخير .

وتفضلوا سيدي بقبول فائق الاحترام .

برلين ٢٤/٢/١٩٤١

سيدي

جرياً على اتفاقنا مع فخامتكم ان السكوت لا يعني الاقرار، فقد فسّرت عدم جوابكم على رسالتي السابقة التي شرحت لكم فيها طريقة ارسال السلاح سراً الى العراق بأنكم غير موافقين على تلك الخطة . ومما يؤيد تفسيري هذا أني حينما كنت في بغداد فهمت ان فخامتكم والاخوان مصرون على المساعدة بالدبابات

ايضا ، وهذه لا يمكن ان تأتي سراً بالصناديق عن طريق تركيا . وعلى كلٍ ندع هذه القضية الآن لنعود اليها في مناسبة اخرى .

خطر لي خاطر جديد يتعلق بسوريا . وهو ان أطلب من الالمان موافقتهم على أن يكتسح الجيش العراقي سوريا موهماً انكلترة ان الحركة موجهة ضد اعدائها الفيشيين ، وسنرى ما يكون جوابهم.

الالمان لا يريدون ان نتفق مع الروس ، لذلك ارجو تأخير هذا الامر الي ما بعد وصولي الى انقره ، وبحثه مع الاخ كامل بك لاتخاذ الموقف الملائم . والغريب ان الالمان كالانكليز مصرون على عدم اقامة صلات دبلوماسية بين العراق وروسيا . وذلك مما جعلني أتحاشى الخوض في هذه القضية ودمتم .

برلين ١٩٤١/٢/٢٧

سيدي

ذكرت لفخامتكم في رسالتي السابقة اقتراحي على المانيابان يكتسح الجيش العراقي سوريا متظاهراً بأنه يهاجم حكومة فيشي ، ولكن وزارة الخارجية الالمانية رفضت هذه الفكرة معربةً عن رغبتها في عدم القيام بأي عمل يسيء الى الحكومة الافرنسية واتفاق الهدنة .

سأسافر الى بودابست في أوائل آذار (مارس) ١٩٤١

ومنها الى انقره ، إلاّ اذا تلقيت من فخامتكم ما يوحي بخلاف ذلك . هذا وقد أصبح من الميسور لدي تقديم تقرير واف يتناول جميع المسائل .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي سيدي

وفي ٢ ـ ٣ ـ ١٩٤١ اخذت برقية من رشيد بك يقول فيها ان لدى الجيش العراقي من بنزين الطائرات ما يكفي لـ ١٣ سربا من الطائرات وكل سرب ١٣ طائرة ، وذلك لمدة ستة اشهر وان الجيش اخذ يدّخر كمية كافية لمدة سنتين .

وفي الاسبوع الثاني من آذار سنة ١٩٤١ ، تركت برلين عائداً الى تركيا . فتوجهت رأساً الى انقره واجتمعت بكامل بك الكيلاني واطلعته على سير الامور في برلين ، وأول أمر سألته عنه هو ما تمّ في شأن العلاقات مع روسيا ، فاخبرني أن سفير روسيا في انقره رفض اعطاءه تصريحا رسميا مكتوباً بالاعتراف باستقلال البلاد العربية كشرط اساسي لاقامة العلاقات الدبلوماسية بين العراق وروسيا وتبادل السفراء بينهما . وكان رأينا ان مثل هذا الرفض لا يمكن ان يفسر إلا بشيء واحد وهو عدم ميل روسيا الى مناهضة انكلترة في الوقت الحاضر ، لان هذه الاخيرة هي الدولة الوحيدة التي يستهدفها التصريح المذكور .

اما فيما يختص بالعلاقات بين العراق وانكلترة فقد رجاني كامل بك ان اقنع الاخوان في بغداد باجتناب التهور ، وباتخاذ كل وسيلة ممكنة للاتفاق مع الانكليز . وهكذا غادرت انقره قاصداً بغداد عن طريق حلب والموصل .

وفي ٢٥ آذار (مارس) ١٩٤١ كنت في بغداد ، فقدمت تقريري الى فخامة رشيد بك وكان وقتئذ خارج الوزارة لانه تخلى عنها بتاريخ ٣ شباط (فبراير) ١٩٤١ ، للسيد طه الهاشمي باشا. وكان سبب استقالة رشيد بك رفض الوصي حل المجلس النيابي .

وهذا هو تقريري : بغداد ٢٧ آذار سنة ١٩٤١

الحالة العامة في المانيا

١ ــ يسود المانيا جو من القلق والوجوم ، فانه رغم ضعف بريطانيا العظمى فقد تمكنت طول مدة اقامتي في برلين من ارسال اسراب من القاذفات في كل ليلة تقريباً الى العاصمة الالمانية ، وكان عدد هذه القاذفات يتراوح بين الخمسين والمائة ، وكنا نضطر للبقاء عدة ساعات من الليل في المخابىء ، وهذه الغارات كانت تشتد يوما بعد يوم في حين ان الهجوم الجوي على لندن لم يأت بنتيجة حاسمة .

٢ ــ اؤيد ما ذكرته في تقريري عن رحلتي الماضية ، من ان

السيد كامل شبيب
قائد احدى الفرق العراقية في سجن الاهواز

الدوائر الرسمية في برلين تخشى دخول الولايات المتحدة في الحرب لما تملكه من قوة الانتاج العظيم . والالمان غير مرتاحين لوضع روسيا ايضاً . وقد أخذت نشوة الانتصارات الاولى تتضاءل رويداً رويداً واخذ الناس يتشاءمون لعدم انتهاء الحرب بسرعة.

٣ ــ ان عدم تمكن الالمان من الانتصار في الجبهة الغربية وعجزهم عن احتلال الجزر البريطانية ، وفتور العلاقات مع روسيا ، مما جعل كبار المفكرين يعتقدون بان سياسة المانيا تحتاج الى تحوير اساسي ، والا تعرضت للحرب على جبهتين . وهناك خوف من ان تطغى سياسة التهور والغرور فتقذف بالمانيا في ورطة لا يعلم الا الله كيف تنجو منها . وقد قال لي اميرال الماني له مكانته العلمية : « نكاد نقع في الاخطاء نفسها التي وقعنا فيها في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ــ ١٩١٩ »

٤ ــ ارى ان نستقر على رأينا الاول في المحافظة على الحياد وان لا نثير شكوك بريطانيا العظمى ، وان نثابر على احترام نصوص المعاهدة العراقية البريطانية لفظا وروحا . مع العمل باقصى ما يمكن على تحسين وضعنا مع بريطانيا ، وتقديم شروط لزيادة التعاون بيننا وبينها متعهدين اذا اقتضى الامر ، بارسال الجيوش الى مختلف الجهات لقاء تأمين استقلال البلاد العربية بموجب معاهدة حائزة جميع صفات التعاقد القانونية .

تطور الحالة الداخلية في العراق في نيسان (ابريل) سنة ١٩٤١

في أوائل شهر نيسان سنة ١٩٤١ رأى سمو الوصي ان ضباط الجيش العراقي اصبحوا هم ولاة الامر الحقيقيين في بغداد، وانهم متضامنون متكافلون مع فخامة الكيلاني ، وان افضل وسيلة لاضعافهم هو تفريقهم في مناطق بعيدة .

واخذ سموه بتنفيذ هذه السياسة ، فاصدر مرسوما بنقل احد قواد الفرق العقيد كامل شبيب الى الديوانية كخطوة اولى على ان يحل السيد ابراهيم الراوي مكانه .

وعلى اثر ذلك اجتمع الضباط الاربعة وهم السادة : صلاح الدين الصباغ ، وكامل شبيب ، ومحمود سلمان (آمر القوى الجوية) وفهمي سعيد (آمر القوى الآلية) فقرروا التكاتف التام فيما بينهم ومناوأة سياسة التفريق التي اراد الوصي ان يطبقها على كبار رجال الجيش ، ورفض النزول عند امر الوصي بنقل كامل بك شبيب الى الديوانية . واخذ كامل يحرض اخوانه ويبين لهم انه مستعد حتى للقتال اذا اقتضى الامر واعادة « عهد خالد بن الوليد » لتطهير العراق من الموالين للسياسة الانكليزية .

واخذت الحوادث تمر بسرعة . ففي ٥ نيسان سنة ١٩٤١ تخلى العميد طه باشا الهاشمي عن مهام الحكم (وكان ضعيف

الارادة رغم كونه فريقا ، يتراجع امام المصاعب) ، وذلك على اثر حركة ظهرت بوادرها في صفوف ضباط الجيش ومغادرة الوصي بغداد الى الديوانية ومنها الى البصرة .

واصدر الجيش منشورا يكلف رشيد بك عالي الكيلاني بتأليف الوزارة . وكان رشيد بك رئيسا للوزارة حتى ٣ شباط (فبراير) سنة ١٩٤١ واستقال على اثر رفض الوصي حل المجلس. وفي ٨ نيسان اعلن الجيش تأييده لحكومة الكيلاني ، وكان الوصي والسيد نوري السعيد والسيد جميل المدفعي قد تركوا بغداد الى البصرة ومنها الى حاملة طائرات بريطانية. ثم علم أخيراً بأنهم استقروا جميعاً في عمان بعد زيارتهم للقدس .

واصدر رئيس اركان الجيش العراقي امين زكي باشا البلاغ التالي:

« ان صاحب السمو الامير عبدالاله قد اخذ منذ حين يخالف واجبات الوصاية حتى بلغ به الامر انه لم يتورع عن التشبث باخذ البيعة من بعض الناس ، فتحدى العرش الذي اؤتمن عليه واندفع لتحطيم الجيش الوطني الحارس لكيان الامة ووحدة الوطن ، والذي عرف بتفانيه واحترامه للعرش . وقد عمد سموه الى احداث انشقاق في صفوف الامة حتى اوصل المملكة الى حالة خطرة من القلق والجزع . وعبثاً حاول المخلصون نصحه واقناعه بضرورة احترام حدود واجباته الدستورية . وعبثاً حاولوا

لفت نظره الى انه غير مسؤول دستورياً، فأخذت شؤون المملكة تسير من سيء الى اسوأ واوشكت الآلة الحكومية ان تتعطل وبدأ اليأس من اصلاح الحال يدب في النفوس المخلصة ، فعم السخط على تصرفات الوصي وبطانته حتى ان رئيس الوزراء العميد الركن طه الهاشمي ، لم ير الا الاستقالة وسيلة للتخلص من المسؤولية ، وبدلا من ان يكون سموه في مقر عمله يمارس صلاحياته الدستورية مجرداً من الحزبية والاندفاعات الشخصية، ترك واجبات الوصاية ساخراً من حكومة البلاد ، معطلا لاحكام دستورها ، غير عابيء بما قد تولده هذه الاعمال من اخطار تحط من كرامة الامة وتهدد كيان الدولة . بناء على ما تقدم وحرصاً على صون كرامة الامة وسلامة الدولة ، فقد عهد الجيش بادارة دفة الامور الى حكومة الدفاع الوطني برئاسة فخامة السيد رشيد عالي الكيلاني الذي اظهر الرأي العام الوطني ثقته به واطمأن الى صلابته السياسية ، ريثما يتم اتخاذ التدابير الدستورية في جو من الطمأنينة والثقة العامة بعودة الامور الى مجاريها الطبيعية .

امين زكي
رئيس اركان حرب الجيش العراقي

وبعد مرور ساعة تقريباً ظهر بيان فخامة السيد رشيد عالي الكيلاني .

بيان الكيلاني

قبل ساعة تلي منشور رئاسة اركان الجيش ، واطلعتم على ما جاء فيه من الاسباب الخطيرة التي ادت بقيادة الجيش العراقي الى تحمل مسؤولية حفظ الامن والاستقرار في البلاد وصيانة لأحكام الدستور من العبث به ، تلك المسؤولية التي طلب إلي تحملها ، فاني ، وقد عودت نفسي ان اكرسها لخدمة البلاد ووقاية سلامتها ، رأيت من واجبي ألا أتقاعس ، في هذا الوقت الحرج ، عن تلبية نداء ابناء وطني المخلصين في تقديم نفسي لخدمته ، وخاصة بعد استقالة فخامة السيد طه الهاشمي من رئاسة الوزارة وعدم استقرارها في تحمل المسؤولية ، وترك صاحب السمو الوصي ممارسته واجبات الوصاية فعطل بذلك احكام الدستور وعرض البلاد لخطر شديد . فبناء على ذلك كله وبعد الاتكال على الله تعالى أخذت على عاتقي القيام بمهام حكومة الدفاع الوطني التي أشار اليها منشور رئاسة اركان الجيش العراقي ، لصيانة البلاد من العبث باستقرارها ولاستتاب الامن والنظام فيها الى ان تعود المياه الى مجاريها ويحصل الاطمئنان على تنفيذ احكام الدستور .

ان منهاج هذه الوزارة هو نفس المنهاج الذي سارت عليه وزارتي الاخيرة وأعلنته في حينه للرأي العام والذي كان من اسسه عدم توريط البلاد في اخطار الحرب . والقيام باداء رسالتها القومية والمحافظة على تعهداتها الدولية لا سيما المعاهدة العراقية البريطانية والاستمرار في تنفيذ احكامها بروح الود والصداقة، وفي تقوية الروابط الحسنة مع الدول العربية المجاورة .

واني اعلن بهذه المناسبة ايضاً ان هذه الحكومة ستلتزم جانب الحق والعدل في جميع تصرفاتها ، وتحترم حقوق ابناء البلاد وحرياتهم ، ولكنها لن تسكت ابداً عمن تحدثه نفسه بالكيد للبلاد والاخلال بالامن والنظام في هذه الساعة الخطيرة التي تمر بها ، وستنزل به أشد العقاب . واني واثق بأن الرأي العام الذي أظهر اطمئنانه الى سياستي هذه في شتى المناسبات سوف يظهر ما عرف به من وطنية واخلاص ، فيعينني على القيام بواجباتي الخطيرة ويوحد كلمته لايصال البلاد الى بر السلامة وتحقيق أمانيها المقدسة . واني أطلب الى جميع أبناء وطني المحبوب ان يواظبوا على اعمالهم وان يحذروا مكائد الكائدين ، وأختم كلمتي هذه بالدعاء لجلالة الملك المفدى فيصل الثاني المعظم ، ولي وطيد الامل ان يكون هذا الحدث التاريخي العظيم ، فاتحة خير للبلاد وضماناً لسلامتها واعلاء شأنها ، ومن الله التوفيق .

أما الحكومة الانكليزية فقد اعتبرت الحكومة العراقية الجديدة غير دستورية .

وفي ١١ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤١ اجتمع مجلس النواب العراقي وانتخب سمو الشريف شرف وصياً على العرش . وهو شيخ جليل في نحو السبعين من عمره .

وقد أفتى المرحوم ناجي باشا السويدي وهو من واضعي الدستور العراقي ، ومن كبار رجالات العراق ، بلزوم انتخاب وصي جديد .

وصرح فخامة رئيس الوزارة رشيد بك ، ان الانقلاب داخلي بحت ولايغير موقف العراق من بريطانيا . وفي ١٢ نيسان لم يرأس السيد محمد الصدر اجتماع مجلس الشيوخ لانتخاب الوصي الجديد ، فأناب عنه السيد علوان الياسري الاكبر سنا .

وفي ١٣ نيسان تألفت الوزارة الجديدة على الشكل الآتي :

رشيد عالي الكيلاني	للرئاسة والداخلية
ناجي السويدي	للمالية
ناجي شوكت	للدفاع الوطني
موسى الشابندر	للخارجية
علي محمود الشيخ علي	للعدلية
يونس السبعاوي	للاقتصاد

رؤوف البحراني — للشؤون الاجتماعية

الدكتور محمد حسن سلمان — للمعارف

محمد علي محمود — للمواصلات والاشغال

قد تقبلت البلاد هذا الانقلاب بمزيد الفرح والسرور، فقامت المظاهرات في الشوارع تحيي الجيش العراقي والحكومة الجديدة، وأخذ الحماس من الناس كل مأخذ.

وفي ١٦ نيسان أخذ شباب الفتوة يتدربون على التمارين العسكرية. وقد أطلقت الحكومة سراح السيد حكمت سليمان الذي كان معتقلاً في الشمال.

وفي ١٧ نيسان، فهم ان سمو الامير عبد الاله والسيدين جميل المدفعي وعلي جودت الايوبي وصلوا جميعاً الى القدس.

وفي ٢٠ نيسان، وصلت قوات من الجيش الامبراطوري البريطاني الى البصرة لحماية المواصلات. وفهم انه عقد مؤتمر في عمان قوامه سمو الامير عبد الله وسمو الوصي عبد الاله والسادة فخري النشاشيبي وعلي جودت الايوبي وجميل المدفعي.

وفي هذه الاثناء تلقى كل من فخامة الكيلاني وسماحة المفتي كتاباً من وزارة الخارجية الالمانية هذه ترجمته:

وزارة الخارجية الالمانية — برلين ٣ نيسان ١٩٤١

تلقى الزعيم كتابكم المؤرخ بعشرين كانون الثاني (يناير)

السيد رشيد عالي الكيلاني
رئيس الوزارة العراقية سنه ١٩٤١

سنة ١٩٤١ الذي ارسلتموه بواسطة سكرتيركم الخاص، واطلع على التفصيلات المسرودة فيه والمتعلقة بكفاح العرب القومي، باهتمام كبير وعطف عظيم. وقد ابتهج بالكلمات الودية التي وجهتموها باسمكم وباسم الشعب العربي.

ان الزعيم يهدي اليكم تحياته ويشكركم بواسطة وزير الخارجية للرايخ الهر فون ريبنتروب، ويتمنى لكم استمرار النجاح في القضية العربية.

إن سكرتيركم الخاص بدأ بالمفاوضات التي أظهرتم الرغبة فيها في كتابكم. وأما فيما يتعلق بتلبية رغبتكم في ايضاح سياسة المانيا تجاه القضية العربية فاني مفوض بأن ابلغكم ما يأتي:

إن المانيا التي لم تحتل قط أرضاً عربية، لا تستهدف أن تستولي على اي جزء من البلاد العربية، وهي ترى ان الشعب العربي، وهو شعب ذو ثقافة قديمة وقد برهن على لياقته الادارية وفضائله العسكرية، لجدير بأن يحكم بلاده بنفسه، ولهذا فان المانيا تعترف باستقلال البلاد العربية استقلالا تاما، ويحق للبلاد العربية التي لم تستقل حتى الآن، أن تنال استقلالها التام.

إن كلا من الامتين الالمانية والعربية متفقتان على الكفاح ضد عدوهما المشترك اي الانكليز واليهود. ان المانيا مستعدة

للعمل المشترك معكم ، ولمساعدتكم مساعدة عسكرية فعالة على قدر الاستطاعة اذا اضطررتم الى الحرب ضد الانكليز لتحقيق غاية شعبكم ، وذلك بناء على صداقة المانيا ، وانجازاً للرغبة التي أبديتموها بواسطة سكرتيركم الخاص .

إن المانيا مستعدة ايضاً لتسليم المواد الحربية فوراً لتقوية استعدادا الامة العربية للحرب المحتملة ضد انكلترة ، متى امكن وجود طريق لنقل هذه المواد الحربية .

وأوصيكم باعادة سكرتيركم الخاص للمباحثة في التفصيلات المتعلقة بالعمل الودي المشترك المعقود بيننا او إرسال مندوب آخر اذا حصل مانع لعودته .

وأرجو ان يبقى كتابي هذا مكتوماً لديكم . والحكومة الايطالية علمت بمضمون هذا الكتاب ووافقت عليه .

لا شك ان سكرتيركم الخاص سيوضح لكم الانطباعات التي حصلت لديه في المانيا ، وسيؤكد لكم ان انتصار المحور امر لا ريب فيه . وان هزيمة انكلترة محتّمة .

وأتمنى لكم الخير والعافية والنجاح في إقدامكم الجريء في سبيل القضية العربية .

المخلص : فرايهر فون وايسزيكر (وكيل الخارجية الالمانية)

وأخذت الحوادث تتوالى بسرعة . فاجتمع سفير بريطانيا بتاريخ ٢٥ نيسان بوزير الخارجية العراقية السيد موسى الشابندر وأكد له حرص بريطانيا على استقلال العراق .

وفي ٢٦ نيسان تكلم المستر تشرشل عن امتداد الحرب الى الشرق الادنى وضرورة زيادة الحامية الانكليزية في العراق .

ومع ذلك فان الحكومة العراقية اتفقت مبدئياً مع السفارة الانكليزية بخصوص الحامية الموجودة في البصرة . وقبلت السفارة بنقل الجيش البريطاني من البصرة الى شرقي الاردن ومصر عن طريق الرطبة . وتعهدت الحكومة العراقية بحماية طرق مرور الجيش البريطاني ، وتعهدت السفارة بارسال هيئة من الضباط البريطانيين لمراقبة مراكز المرور . وطلب العراق من الحكومة البريطانية ان تخطره بدخول الجيوش البريطانية في الموعد اللازم ، وان لا يزيد عددها في كل مرة عن لواء واحد مختلط ، وان لا تنزل قوات اخرى قبل مغادرة الجيوش الموجودة الاراضي العراقية . وان تتقيد الحكومة البريطانية بما نصت عليه المعاهدة ، فلا تنزل في البصرة اكثر من لواء واحد ، فاذا انتقل عبر الاراضي العراقية تمكنت من انزال لواء آخر وهكذا دواليك.

غير انه ظهر بعد ذلك ان الحكومة البريطانية ما أرادت بذلك إلا كسب الوقت لتقوية قواعدها في سن الدبان «الجبانية» .

واجتمع مجلس الدفاع الاعلى ، فقال السيد فهمي سعيد قائد القوة الآلية بوجوب احتلال قاعدة سن الدبان حالا في الاربع والعشرين ساعة المقبلة ، وإلا أصبح احتلالها فيما بعد امراً متعذراً وأصبحت بغداد معرضة للخطر المحقق . وأبدى العسكريون تأييدهم لفكرة العقيد فهمي سعيد ، ولكن رشيد بك وقف وقال : « ان للامور السياسية الافضلية على الامور العسكرية ، لذلك فان حكومتي لا يمكنها بوجه من الوجوه القيام بعمل هجومي يفسر بأنه خرق للمعاهدة التي بيننا وبين بريطانيا العظمى . وان كل ما بوسعي هو ان اطلب من الجيش اتخاذ التدابير الدفاعية اللازمة لصد كل هجوم قد يشن علينا من جهة البصرة او من جهة الغرب » وبعد جدال عنيف نزل الجيش عند رأي فخامته .

تطور الحالة بسرعة

واخذت الحالة تتطور بسرعة وشرعت السفارة البريطانية توزع المناشير في شوارع بغداد ضد حكومة رشيد بك وتنعتها بالنازية . وفي ٣ مايس سنة ١٩٤١ اذاعت الحكومة العراقية البلاغ الآتي :

« سبق للحكومة العراقية ان اظهرت حرصها على تنفيذ

المعاهدة العراقية البريطانية بسماحها لبعض القوات البريطانية بالنزول الى البصرة لتمر عبر العراق . ولكن اصرار الجانب البريطاني على مخالفة المعاهدة حتم على الحكومة العراقية التمسك بحقوق البلاد واتخاذ التدابير اللازمة لصيانتها . فالمرجو من الشعب العراقي التزام الهدوء والسكينة والثقة بعدالة قضيته »

واذاعت وزارة الدفاع منشورا دعت فيه الشعب الى الاستعداد للدفاع عن الشرف والكرامة . واخذت الحكومة تعبىء قواها الاحتياطية . وفي هذه الاثناء علم ان بريطانيا انزلت قوة جديدة في البصرة .

وفي ٣ مايس اذاعت الحكومة العراقية بلاغاً جاء فيه ان القوات البريطانية في الحبانية اطلقت النار على الجيش العراقي وان الحركات مستمرة .

واتهمت الحكومة البريطانية الجيش العراقي بالبدء باطلاق النار . ولكن الحقيقة انها سولت لها نفسها امرا وبيتت احتلال العراق (كما ذكر ذلك المستر تشرشل في احدى خطبه السياسية) وبناء على هذه الحالة ، طلبت الحكومة العراقية من الانكليز التعجيل بنقل جيوشهم من البصرة الى الرطبة . وعدم انزال قوات اخرى قبل مغادرة الجيوش الموجودة الاراضي العراقية .

وطلب الانكليز رداً على ذلك قواعد جديدة في العراق ،

فرفضت الحكومة العراقية . واطلقت القوات الانكليزية النار على القوات الوطنية قرب الحبانية .

واذاع الامير عبد الاله منشوراً دعا فيه العراقيين للثورة على الحكومة الحاضرة واكد انه عائد ليعيد اليهم الحرية !!

واشتد القتال حول سن الدبان واستولت الحكومة العراقية على آبار البترول في كوكوك ومنعت البترول عن حيفا .

اعادة العلاقات السياسية مع المانيا

وفي هذه الاثناء (٦ مايس سنة ١٩٤١) استدعاني فخامة رشيد بك الساعة الواحدة بعد منتصف الليل الى داره وطلب إلي الاتصال حالا ببرلين واعلام المسؤولين هناك بما جرى ، وطلب المساعدة العسكرية المستعجلة . والذي زاد الطين بلة ، ان قائد الجبهة الغربية السيد صلاح الدين الصباغ انهارت اعصابه بسبب الهجوم الجوي البريطاني على القوات العراقية في منطقة سن الدبان ، فكان يقول لي : « ابرق اليهم حالا وسريعا ان اربعمائة طائرة بريطانية اخذت تقذف الجيش العراقي ، وحالتنا سيئة جداً »

— الا ترى ياسعادة القائد ان العدد مبالغ فيه وان ...

— ياسيدي ، ابرق اليهم بذلك . وانا لا اعني ان ٤٠٠ طائرة تقذف الجيش العراقي في وقت واحد ، ولكن اعني ان اربعين

طائرة تأتي وتقذف قنابلها ، ثم تذهب وتعود للقذف عشر مرات في الاربع والعشرين ساعة .

ـ وأين طائراتكم ياسيدي ؟

ـ لا أعلم ، اسأل محمود سلمان ، آمر القوة الجوية .

ويجيء محمود سلمان فيقول : «ان قواتنا الجوية ضعيفة» ويؤكد عدم تمكنه من مجابهة القوة البريطانية وأن الانكليز ، وهم موجودون في البلاد ، قد وقفوا على الصغيرة والكبيرة ، وتمكنوا في الجولة الاولى من القضاء على جزء كبير من القوة الجوية العراقية الجاثمة في المطارات .

ويحتدم الجدال بينه وبين رفقائه ، ويقولون له لقد جردت السلاح الجوي العراقي من احسن الطيارين لغايات شخصية ، واعتمدت المحسوبية في تكوين القوة الجوية مما ادى الى النتيجة التي نراها . ويلتفت الجميع الي ويقولون : «ليس الوقت وقت عتاب ، ابرق بسرعة الى برلين لكي يرسلوا الينا القاذفات بالعشرات والمئات . الحالة خطرة ، وخطرة جداً»

ذهبت الى دائرة اللاسلكي ، ولكن الاتصال مع روما وبرلين صعب ، والآلات ضعيفة . فاتصلنا بسفير العراق في انقره لكي يتصل بفون بابن .

وتجيب برلين قائلة «اخذنا علماً بما حدث ، سنرسل اليكم كل شيء ،

اثبتوا ، ان سفيرنا السابق في بغداد الهر فريتس غروبا ، هو في طريقه اليكم ومعه جميع التعليمات » .

ثم ذهبت الى وزارة الخارجية العراقية فالتف موظفوها حولي متسائلين : أين الطائرات ؟ فجعلت اطمئنهم قائلا :

« ستأتي إن شاء الله » .

ثم اخذت القاذفات الالمانية تصل الى سماء العراق عن طريق الموصل وقد اسقط الانكليز من الاسراب القادمة ١٨ طائرة على الطريق ، ومع ذلك فقد تحسنت المعنويات ، ولكن الى حين .

وصلت اول قاذفة الى سماء بغداد وفيها الضابط الالماني بلومبرج ابن الجنرال الالماني الشهير فون بلومبرج . ولكن الرشاشات العراقية اصابته وهو في الطائرة فأردته قتيلا . وهكذا ابتدأ التعاون الالماني العراقي بخطأ فاحش !!

وياليت الامر وقف عند هذا الحد ، فقد نزلت القاذفات العراقية في مطاري الموصل وبغداد ، وطلبت الوقود ، اين البنزين ؟ بنزين الطائرات .. الم نأخذ تقريراً من الجيش يفيد بأنه خزن بنزيناً للطائرات يكفي ١٣ سربا أي ١٦٩ طائرة لمدة ستة اشهر وانه شرع بزيادة الكمية حتى تكفي سنتين ؟ واخذ رشيد بك يسأل عن البنزين واخذت ابحث عنه ، ففهمت في تلك الساعة الرهيبة ، ان المخزون هو بنزين للسيارات وان بنزين الطائرات

« او كتون ٨٠ » لا أثر له .

وحك القائد الالماني رأسه وقال يجب ان نتدبر الامر . سأسافر الى برلين حالا واجلب معي المواد اللازمة لتحويل بنزين السيارات الى بنزين طائرات . وما عتم أن رجع ومعه اخصائيون في صنع الوقود فأكبوا على العمل وصنعوا كمية لا بأس بها ، ولكنها بالطبع لا تكفي لحرب على مقياس واسع .

وبعد يومين حضر السفير الالماني غروبا ومعه ٢٠٠ الف جنيه انكليزي ذهباً . وعرضها على رشيد بك ، فأوعز اليه ان يسلمها الي فتسلمتها ووضعتها في غرفتي في شارع الزهاوي وقلت للخادم : « كن على حذر ، هذا خرطوش ، لا تدع احداً يدخل غرفتي » ووعد غروبا بابلاغ المساعدة المالية الى ثلاثة ملايين من الجنيهات الانكليزية الذهبية .

واخذت الايام تمر والحالة تتأزم . اين القائد كامل شبيب ، قائد احدى الفرق في الجبهة الغربية ؟ فمنذ اسبوع ، بل منذ ابتداء الحركات لم يجرؤ على الذهاب الى ميدان القتال . أين الذي وعد باعادة عهد خالد بن الوليد ؟ انه لم يكتف بانهيار اعصابه بل انه اثّر على زميله القائد صلاح الدين الصباغ ، الذي لم يعد يملك هو ايضاً اعصابه .

ـ يا صلاح الدين بك ، كيف يمكنك ان تعمل والى جانبك

هذا الرجل يفرك يديه ويذرع الغرفة ويحطم اعصابك من جبنه وعدم رباطة جأشه ؟ أبعده عنك ، وقرب اليك ضباطاً آخرين فيهم الشجاعة الكافيه لخوض مثل هذه المعمعة .

ـ لقد جربت ذلك ، ولكن جميع الضباط المتقاعدين رفضوا التعاون معنا . لقد أهملناهم في زمن السلم ، وأبعدناهم عنا ، وهم الآن لا يريدون ان يقتربوا منا ، انهم في الحقيقة شامتون بنا مما نحن فيه .

وأبدى الهر غروبا مع معاونيه نشاطاً ملحوظا . ولم ينقطع عن الاتصال ببرلين لاطلاعها على ما يجري وموافاته بما يستدعيه الموقف . وقد حمل الينا ذات يوم نبأ مؤداه أن اسلحة تكفي لفرقتين عسكريتين قادمة من حلب وهي في طريقها الى الموصل . وفيها الآلاف من البنادق الافرنسية والعشرات من المدافع عيار ٧٥ مليمتر وعيار ١٥ سنتيمتر مع آلاف القنابل . ولكن هذا لم يرض القائد العراقي الذي أصر على وجوب استحضار الطائرات . أما الهر غروبا فقد كان يجيب على هذا الاصرار بأن استحضار الطائرات أمر ميسور ، ولكن أين ما تحتاج اليه من الوقود الذي أكدتم لنا من قبل أنه موفور لديكم ؟

وعلى الرغم من كل ذلك لم يتوان الهر غروبا عن طلب النجدة من برلين . واذا بالحكومة الالمانية تخبره بأن تركيا قبلت

ان يمر البنزين الروماني عبر الاراضي التركية الى العراق، وتوعز اليه ان يدعو حكومة بغداد الى إرسال جميع ما لديها من العربات الخاصة بشحن البنزين « Wagons Citernes » لملئها في استامبول بنزينا للطائرات وارجاعها حالا . وأمر رشيد بك بتحضير كل ما لدى العراق من هذه العربات فاذا بها لا يزيد محمولها عن ٣٠٠ ـ ٣٥٠ طنا .

وفي هذه الاثناء حضر عدد من الطائرات الالمانية ترافقها بعض الطائرات الايطالية . ونزل بغداد ملحقون عسكريون المان وطليان ، وأبدوا رغبتهم في زيارة الجبهة الغربية في سن الدبان . فأجيبوا الى طلبهم ، وعند رجوعهم اجتمعوا بالقائد صلاح الدين الصباغ بحضور رشيد بك والهر غروبا وكاتب هذه السطور وقالوا له :

ـ لقد زرنا الجبهة فهل تأذن لنا ان نبدي ملاحظاتنا على الوضع هناك ؟

ـ تفضلوا .

ـ ان الجبهة مكشوفة للطائرات بصورة خطرة . ولا خوف من الطائرات الانكليزية لو انكم اتخذتم الاحتياطات الكافية . مثلا لو حفرتم خنادق بخط منكسر ▲▲▲▲ ، بعمق وعرض كافيين ، لأصبح خطر الطائرات محدودا . ولقد رأينا في الجبهة

ضابطاً يقود طابوراً في موقع معرض للقذف الجوي الشديد ، ولكنه أمر جنوده بحفر الخنادق الفنية ، فسكروا فيها . وقد أخبرنا ان الطائرات الانكليزية قذفت طابوره طول النهار فلم تصب إلا جنديين بجراح بسيطة .

فقال صلاح الدين بك : ياسيد كمال ، قل لحضراتهم إننا لا نريد منكم نصائح ونظريات عسكرية . فعندنا منها الشيء الكثير . نحن نريد فقط طائرات كثيرة ومساعدات عسكرية كبيرة ، نريد طائرات ودبابات و و و ..... ، ترجم لهم ما قلته لك حرفيا . »

ونظر إلي رشيد بك و كأن عينيه تقولان : « ياكمال لا تترجم حرفيا ، ولا تظهرنا امام الالمان والطليان بهذا الغرور » . فترجمت قائلا :

ـ يا هر غروبا ، يقول القائد ، إن ملاحظاتكم جديرة بالعناية والاهتمام ، ولكن مع ذلك فان الامر يقتضي الاسراع باحضار الطائرات المطلوبة . لانها ضرورية لتقوية معنويات الجيش ، ونتيجة المعركة معلقة بالسلاح الجوي .

وجاءت الاخبار انه أُنشيء في شرق الاردن «جيش الخلاص» برئاسة الامير عبد الله واشتراك سمو الوصي ونوري باشا السعيد .

وأخذ الانكليز ينذرون بضرب بغداد من الجو .

واقترح بعض الضباط القيام بحركات في منطقة الرطبة

وشرقي الاردن لمنع تقدم الدبابات الانكليزية واشغالها . واقترحوا ان تسند هذه المهمة الى السيد فوزي القاوقجي .

وبالفعل أُرسل السيد فوزي القاوقجي الى الرطبة وقدمت له القيادة كل ما يريد . وكلما طلب المزيد من المدفعية والسيارات أُجيب الى طلبه حالا . ولكنه انسحب من الرطبة بعد قتال يسير ، فجعل الضباط العراقيون يتهمون القائد القاوقجي بشتى التهم وبأنه سلم الرطبة تسليما . ولما كان بحث هذا الامر ليس من اختصاصنا فاننا نتركه للتاريخ العسكري والعسكريين لبيان ما كان له من أثر في انهيار الجبهة الغربية ، وسقوط الفلوجة ومن بعدها العاصمة .

سفر السيد ناجي شوكت الى انقره

كانت الحكومة العراقية قد أوفدت السيد ناجي شوكت الى انقره حوالي العاشر من شهر مايس سنة ١٩٤١ لدرس الوضع مع السفير الالماني ، ولحمل الحكومة التركية على التوسط عند اللزوم . وفي ١٥ مايس ، امام الوضع العسكري السيء في العراق تمكن من إقناع تركيا بالتوسط . فعرضت على العراق ، في برقية ، توقيف الاعمال العسكرية وضمنت له قبول الحكومة البريطانية مفاوضة حكومة رشيد بك والاعتراف بها كحكومة

البلاد الشرعية واعتبار مشكلة الوصي على العرش سمو الامير عبد الاله قضية « داخلية لا دخل لبريطانيا فيها . » ولبثت تنتظر الجواب .

واتصل فخامة رشيد بك بسماحة المفتي الاكبر وطلب منه إبداء رأيه في هذا العرض . وبعد تقليب الامر على جميع وجوهه قررا قبول الاقتراح التركي بدون أدنى تردد ووضعا صيغة الرد مع شكر الحكومة التركية الشقيقة على توسطها .

وهمّ رشيد بك بارسال البرقية ولكنه رأى ان لا يرسلها قبل استشارة القواد العسكريين . وهكذا طلب السيد يونس السبعاوي والسيد صلاح الدين الصباغ لابلاغهما نص البرقية التركية والجواب عليها . وكان السيد يونس وزيراً للاقتصاد ، غير انه كان لولب الحركة ومقرّباً جداً من العسكريين ، فلم يرق له وللقائد إرسال البرقية . وأصر الكيلاني على إرسالها مؤكداً أن مصلحة البلاد تتطلب اغتنام هذه الفرصة لتصفية هذه الحوادث مع حفظ كرامة البلاد . وحصلت مشادة كلامية عنيفة بين رشيد بك والقائد صلاح الدين ، وكانت نظرية هذا الاخير ان الالمان اكتسحوا اليونان وأخذوا يتقدمون في الجزر الجنوبية ، كريد وغيرها ، وانهم لا محالة سينزلون قوات مهمة في سوريا ، وانه يجب الصبر والثبات ورفض مفاوضة الانكليز ، وإلا فانا

نخسر الجانبين .

أما رشيد بك فقال : « انا لست بالرجل العسكري ، ولكن خمسة عشر يوماً مضت على الحركات وانتم تهددونني كل يوم بالتسليم . ثم اننا اتفقنا على سياسة معينة ، ولم نعد المانيا بالحرب الى جانبها ، وهذه فرصة مناسبة للعودة الى ما اتفقنا عليه من سياسة الحياد التام ومفاوضة الحكومة البريطانية والاعتراف بحكومتنا كحكومة البلاد الشرعية » . وأصر رشيد بك على موقفه ، وغضب القائد صلاح الدين الصباغ وأخرج في حركة عصبية مسدسه ، فحال دونه السبعاوي . وفهم ان البرقية مزقت وان رشيد بك مصر على الاستقالة . وما هي إلا ساعة حتى هرع القواد جميعهم لاجتماع عقدوه ودعوا اليه سماحة المفتي ورجوه استرضاء رشيد بك . وكانت مهمة شاقة حاول فيها المفتي اقناعهم بقبول شروط تركيا ، فاعتذر القائد عما بدر منه ، وقال : يجب ان لا نسرع في عقد الصلح مع الانكليز ، فانهم هم البادؤون بالعدوان . ومن الضروري ان نستمر في المقاومة شهرين أو ثلاثة ، لنرى ما سيجد من الامور وما سيؤول اليه الهجوم الالماني العتيد في كريد ، فاني أرى أن الالمان لن يتخلوا عن احتلال سوريا والتقدم منها نحونا ، وربما تخضع لهم تركيا وتتغير الاحوال .

رشيد بك ـ لنفرض ذلك يا صلاح الدين ، ولكن أنى لكم أن تصمدوا ثلاثة أشهر ؟

صلاح الدين بك ـ لقد رسمت خطة ، وانا مستعد لتطبيقها حالا .

رشيد بك ـ وما هي هذه الخطة ؟

صلاح الدين بك ـ هي أن نهدم السدود فتصبح المنطقة جميعها محاطة بالمياه ، فلا يتمكن العدو عندئذ من التقدم نحو مراكزنا ونحو العاصمة .

رشيد بك ـ وهل أنت واثق من إمكان تنفيذ هذه الخطة ؟

صلاح الدين بك ـ بكل تأكيد .

وسكت رشيد بك على مضض . وأخذ ينتظر تنفيذ الخطة خصوصاً بعد ان رُفض توسط تركيا .

وبعد ثلاثة أيام فهم ان هدم سدود المياه لم يتم بصورة كاملة ، وأن الخطة لم تنجح ، فوقع القائد العراقي في ارتباك وانهارت اعصابه مجددا . أما الانكليز فقد تقدموا نحو الفلوجة واحتلوها . وكان مما ساعدهم على ذلك عدم احكام وضع الالغام التي وضعت لنسف الجسر المؤدي اليها ، والفلوجة كما هو معلوم مفتاح بغداد .

وفي اثناء هذه الحالة الحرجة ، طلب المجاهدون الفلسطينيون من الحكومة العراقية ان ترسلهم الى الجبهة ، فتشكلت قوة مؤلفة

من سبعين مجاهداً بقيادة السيد عبد القادر الحسيني ، واخذت مراكزها وابلت احسن البلاء، وما كانت لتتراجع لولا الهدنة. وعندما القي القبض على عبد القادر بك ليحاكم امام محكمة عسكرية كانت التهمة الموجهة اليه انه ومن معه من المجاهدين اوقفوا الجيش البريطاني عشرة ايام واخروا زحفه على بغداد لصمودهم في احدى النقاط المهمة التي وكل اليهم أمر الدفاع عنها.

السبعاوي في الجبهة

وسافر السبعاوي الى الجبهة على رأس نفر من المتطوعين. وظل يقاوم مع اخوانه بثبات وصبر حتى النهاية. وبما انه كان وزيراً للاقتصاد ، فقد دعاه وزير المالية السيد علي الشيخ محمود للرجوع الى بغداد ليؤدي حساباً عن الاموال المتجمعة من ضريبة البنزين والنفط ، فأبى. وقامت بينهما مشادة عنيفة دامت الى ما بعد لجوئنا الى ايران.

اشتداد المعارك

وفي هذه الاثناء اشتدت المعارك ، وهلعت القلوب. وإن انس لا أنس ذلك الحديث الذي دار حينذاك بين سماحة المفتي والقائد صلاح الدين الصباغ في اجتماع ضم القواد ورشيد بك وبعض الاخوان. وها أنا انقله بأمانة حرصاً مني على التدقيق في

تصوير الوقائع :

صلاح الدين . — ليس لنا مخرج سوى الانسحاب الى ايران وترك الحرب .

المفتي . — انت تقول ذلك ياصلاح الدين ؟ اكاد لا اصدق اذني . هل تظن انك تنجو بنفسك اذا التجأت الى ايران ؟ اذا كنت تظن ذلك فانت واهم ؟ لقد وقفت حائلا دون توسط تركيا واصررت على تحمل المسؤولية ، والآن تريد الالتجاء الى ايران ؟ لا ياصلاح الدين بك ، العقل والشرف يتطلبان منا جميعاً ان نهرع الى الميدان ونقاتل مع جنودنا حتى نموت في المعركة ، وهذا افضل عمل نعمله لحفظ كرامتنا وتبرير موقفنا امام هذه الامة .

رشيد بك . — انا لم اعد مسؤولا نحن اتفقنا على سياسة معينة ، ولكن لم تتركوا لنا حرية العمل السياسي بل ابيتم الا ان تتدخلوا في الشؤون السياسية ايضاً . اما في المسائل العسكرية فاني اتكلت عليكم لانها ليست من اختصاصي . والآن تريدون ان تفروا الى ايران .

وهنا تدخل السيد فهمي سعيد وقال : اين المفر ، ولماذا نفر . لقد ضاعت منا فرصة توسط تركيا ، فيجب علينا استعادة مثلها . واذا لم يكن بد من ترك بغداد ، فلننسحب الى بعقوبة ، ثم نتحصن في الجبال ونحارب فيها الى ان يقضي الله امراً كان مفعولا .

وفي تلك الاثناء دخل الهر غروبا فشرحنا له الموقف وقلناله إن القواد يقولون بمغادرة بغداد الى الشمال . فوافق وقال إنه سيسافر الى الموصل مع جماعته حالا . ولاحظت ان غروبا يخفي أمراً ويبدي موافقته على كل ما من شأنه إنهاء الحركة كلها ، ولم افهم الاسباب الا بعد دخول المانيا الحدود الروسية ونحن في طهران .

وسألني رشيد بك ماذا فعلت بمبلغ الـ ٢٠٠ الف جنيه ذهباً التي تسلمتها؟ فقلت له انها موجودة . فقال : اعدها الي الهر غروبا ليأخذها معه . فسلمتها اليه ، وسافر غروبا بطائرة خاصة مع جماعته الى الموصل .

وفي ٢٩ مايس طُلب الينا ان نستعد للسفر الى الشمال ، فسافرنا في منتصف الليل جميعنا على قطار خاص . رشيد بك والوزراء والقواد وسماحة المفتي مع لفيف من اللاجئين الفلسطينيين وبعض الاخوان من سوريا ولبنان .

ولما وصلنا الى خانقين على الحدود العراقية الايرانية واردنا ان نتابع سفرنا الى الموصل ، ابلغنا القيادة انه لم يبق امامنا الا خطة واحدة وهي الالتجاء الى ايران ، لان الجسور الواقعة على طريق الموصل قد نسفتها الطائرات البريطانية ، فخوفا من الوقوع في الاسر يحسن بنا التوجه الى الحدود الايرانية . وكانت هذه المعلومات ملفقة ولم ندر من أين حصلت القيادة عليها .

وهنا انقسمنا الى قسمين . قسم اكثر افراده من السوريين والفلسطينيين واللبنانيين الذين قرروا السفر الى الشمال ومن هناك الى سوريا. وقسم آخر وهو المؤلف من الوزراء والقواد وسماحة المفتي وبعض اعوانه وبينهم كاتب هذه السطور وتوجهنا صباحا الى الحدود الايرانية فاستقبلتنا السلطة على الحدود استقبالا حسنا ونقلتنا الى قصر شيرين حيث بتنا ليلتنا . وفي اليوم التالي تابعنا السفر حتى وصلنا الى طهران .

وفي طهران نزل رشيد بك والمفتي في فندق الفردوسي ونزل البقية في الفنادق الاخرى . وكان ذلك في الثالث من شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩٤١ .

نظرة عامة الى الحركة منذ الوجهة الداخلية

وقبل أن أنتقل الى الحديث عن المرحلة الثانية في طهران أرى ان أصف بايجاز ما كانت عليه الحالة الداخلية في العراق منذ بدء الحركة حتى نهايتها . وأول ما يجدر ذكره أن رشيد بك حافظ على الامن الداخلي ولم يفسح المجال للانتقام من العناصر المعارضة له . ولما أوقف العسكريون السيد صالح جبر من صرف البصرة بسبب تسهيله فرار سمو الوصي عبد الاله وجماعته الى حاملة طائرات بريطانية، وأرادوا محاكمته وسجنه عارضهم رشيد بك

وثناهم عن عزمهم . ووقف سماحة المفتي موقفاً مماثلا ، وتوسط للسيد ابراهيم عطارباشي والسيد مولود مخلص ، ورجا من القواد ان لا ينتقموا منهما ولا من غيرهما ، وان لايفسحوا مجالا للتشفي من أحد . يضاف الى ذلك انه لم تحصل اية حركة ضد اليهود في بغداد ، إلا عندما غادرها فخامة الكيلاني ووصل الى طهران .

ولما رجع سمو الوصي عبد الاله مع السادة نوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودت الايوبي الى بغداد وتألفت وزارة السيد جميل المدفعي ، حصلت اضطرابات في العراق نتيجة للشعور المكبوت ، ثم أخذت الحكومة في طرد الكثيرين من الاساتذة والمعلمين والموظفين وكبار الرجال الذين ينتمون الى البلاد العربية الشقيقة كسوريا وفلسطين ، ووضعت فئة منهم في السجون والمعتقلات ، منهم الضباط السادة صبحي العمري ومحمود الهندي وعبد القادر الحسيني وأبعدت الاستاذ الكبير السيد ساطع الحصري والدكتور عمر فروخ ، ومئات غيرهما الى خارج العراق . ثم زجت في السجون فئة وطنية ممتازة من شباب العراقيين واكثرهم من رجال حزب الاستقلال الذي مافتئ يحارب الاستعمار ورجاله ويجاهد في بلاد الرافدين في سبيل القضية العربية بعزيمة لا تكل وعقيدة راسخة .

وتعاقبت الوزارات العراقية ولكنها كلها كانت برئاسة

السيدنوري السعيد، إلا اذا أراد الراحة والاستجمام أو أراد أمراً فانه يعهد بالوزارة الى غيره ، ولكنه يمسك بزمامها لا يتركه ابدا ، فاذا أراد الرجوع الى الحكم عهد اليه سمو الوصي بتشكيل الوزارة من جديد بعد أن تهيأ الاسباب لانسحاب الوزارة القائمة وهكذا دواليك . وقد حدث ان تولى رئاسة الوزارة رجال أرادوا الخروج من هذا الحال وانتهاج سياسة وطنية قومية لا غبار عليها كالسيد مزاحم الباجه جي مثلا ولكنه لما وصل الى نقطة معينة أجبره سمو الوصي على التخلي عن الحكم بصورة مباشرة ، مستعملا لذلك صلاحيته الدستورية المطلقة التي آلت اليه على أثر تعديل الدستور تعديلا كبيراً بعد حركة السيد رشيد عالي ، فأصبحت إرادة سموه فوق كل إرادة وأصبح المجلس النيابي أشبه بالمجالس الاستشارية ، لان الحكومة لا يمكنها ان تنفذ امراً يعارض فيه سموه . وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله عند تدوين حوادث فلسطين الاخيرة من سنة ١٩٤٧ الى يومنا هذا ، فنرى كيف تعطل قرار مجلس النواب العراقي بمساعدة القوات المصرية عند خرق اليهود للهدنة وهجومهم على الجيش المصري في منطقة النقب ، وكيف ان السيد مزاحم الباجه جي أصدر الامر للجيش بأن يتحرك لضرب اليهود ، وكيف تعطل هذا الامر بأمر آخر معاكس من سمو الوصي ، مما أدّى الى

استقالة الوزارة ومجيء السيد نوري السعيد كما يعرف ذلك كل مطلع على مجرى الامور ، وكيف أدى هذا الحادث التاريخي الى عرقلة مشروع الهلال الخصيب او اتحاد سوريا والعراق في هذه الايام . وسنفرد لهذه الحوادث تاريخاً خاصاً يكتب بالابر على آماق البصر ليكون عبرة لمن اعتبر .

طهران

وجاءت الانباء بأن لجنة الامن الداخلي برئاسة ارشد العمري تقدمت بوقف القتال وأصدرت في بغداد ، البيان التالي :

« في صباح الجمعة ٣٠ مايس سنة ١٩٤١ ، اجتاز الحدود العراقية من خانقين الشريف شرف ، والسادة رشيد عالي الكيلاني وعلي محمود ويونس السبعاوي ووكيل اركان الجيش الفريق أمين زكي والعقيد صلاح الدين الصباغ وكامل شبيب وفهمي سعيد ومحمود سلمان وغيرهم . ولما اتصل هذا النبأ بلجنة الامن الداخلي التي كانت قد تألفت في حينه ، أخذت هذه على عاتقها مسؤولية الامر وقامت بما يلزم فوراً للمحافظة على الامن ، ولما كانت المملكة قد بقيت بدون حكومة تتولى شؤونها ، فقد اتصل رئيس اللجنة السيد ارشد العمري ، بذوي الرأي من رجالات البلد ، كما ان مدير الحركة العقيد نور الدين محمود اجتمع

بالباقين من ضباط الجيش الذين اتفقوا جميعاً على الموقف . وبعد المفاوضة تم الاتفاق بين الجبهتين البريطانية والعراقية على وقف القتال فوراً بشروط تحفظ كرامة البلاد واستقلالها التام وشرف جيشها الباسل .

وفي مساء الاثنين الموافق ٢١ حزيران (يونيو) سنة ١٩٤١ ، عهد حضرة صاحب السمو الوصي الى السيد جميل المدفعي بتأليف الوزارة . فتألفت على الوجه الذي ذكر في بلاغها في اليوم السابق . وقد ختمت الحكومة العراقية بلاغها المذكور بأن الحالة هادئة والامور سائرة في مجراها الطبيعي .

وأما الوزارة فقد تألفت على الوجه الآتي من السادة :

جميل المدفعي	للرئاسة
علي جودت الايوبي	للخارجية
مصطفى العمري	للداخلية
نظيف الشاوي	للدفاع
ابراهيم كمال	للمالية
رضا الشبيبي	للمعارف
جلال بابان	للمواصلات

وأذاع السيد جميل المدفعي البلاغ التالي :

« عقيب تأليف الوزارة ، ونظراً لما يحتمه علي الواجب في

هذه الظروف الدقيقة التي تجتازها البلاد ، قررت الاضطلاع باعباء الحكم واتخاذ التدابير اللازمة لاعادة الطمأنينة والامن والسكينة ، واني اناشد رجالات الامة المخلصين ان يعاونوني في القيام بهذا الواجب ، ولن يحصل اي تردد من جانب حكومتي في الضرب على أيدي المشاغبين والمشاكسين وكل من تسول له نفسه تعكير صفو الامن والراحة العامة » .

جميل المدفعي

حياتنا في طهران

ومرت الايام في طهران سراعاً وانتقلنا الي دار في شارع ولي آباد ، واخذ كل واحد يعلل اسباب الفشل على هواه وحسبما يتراءى له . وعلى كل حال فقد زجتنا الاقدار رغم انوفنا في اتون الحرب التي سعينا لتجنيب البلاد اخطارها ، واصبحنا في صف المحور رضينا أم ابينا . والآن نحن في ايران والحكومة الايرانية تريدنا ان نقيم في بلادها كلاجئين ، وأن نتجنب كل نشاط سياسي . ولكن أنى يكون ذلك بامكاننا وعلينا ربط الخيط المقطوع ، وزيارة السفارات الالمانية والايطالية والروسية والتركية .

ووقع علي الاختيار للاتصال بالسفارة الالمانية والايطالية والتركية . وكان السفير الالماني رجلاً طيب القلب ، جنتلمان

بكل ما في هذه الكلمة من معنى، غير انه يعوزه الدهاء السياسي. وبالطبع كنا نخاف من البقاء في ايران، ونسعى للخروج منها الى بلد اقل تعرضاً للاخطار. وقويت هذه العقيدة في نفوسنا في ٢٢ حزيران سنة ١٩٤١ عندما وقعت الحرب بين روسيا والمانيا. فاجتمعنا عند المرحوم ناجي باشا السويدي واخذنا نتباحث في الوضع. وسبق لناجي باشا ان سافر الى روسيا وخبرها من جميع وجوهها فكان يسرد لنا ما رآه هناك، وكان يشك جداً في نتيجة هذه الحرب بين المانيا وروسيا، ويقول: « لا تغرنكم الانتصارات الاولى، فالرواية طويلة ونتائجها مشكوك فيها »

ثم انتقلنا برفقة الوصي الشريف شرف ورشيد بك وبعض الوزراء الى فندق (نلبند) في شميرا حول طهران، وكان يسكن هناك المرحوم امين بك التميمي وحده، بعيداً عن كل شيء. فاجتمعنا به وسألناه عن رأيه في ما حصل بين روسيا والمانيا؟ وسأل امين بك ماذا حصل؟ ليس عندي شيء من الاخبار. فقلنا له: لقد وقعت الحرب بين المانيا وروسيا. فقال: « وهل وقعت فعلا؟ » ولما سردنا له الاخبار اعتراه شيء من الذهول وقال بحركة عصبية « هذا رجل مجنون ولا شك (ويعني هتلر) أين تأكيداته بانه لن يحارب على جبهتين؟ أين اقواله بانه لن يكرر اغلاط القيصر غليوم الثاني؟ هذه روسيا، روسيا التي تلتهم

الاخضر واليابس ، حقاً انه لمجنون ، ما في ذلك من شك ! »

ولكن ماذا سيكون مصيرنا نحن. لقد فهمنا الآن الاسباب التي دعت المانيا الى ترك مشاريعها في شرق البحر الابيض والامتناع عن هجومها على سوريا من كريد . لقد وقعت الواقعه وغير هتلر اتجاهه فأسكت الجبهات الاخرى ليفتح الجبهة الروسية.

وقال رشيد بك ـ ياجماعة . اصبح وجودنا في ايران على جانب عظيم من الخطر .

وفي الصباح اجتمعنا مجدداً وقررنا القيام بمجهود حاسم لترك ايران والانتقال الى تركيا .

وزرنا سفير تركيا فاظهر لطفاً زائداً لرشيد بك ولكنه هاجم العرب بشدة ، واخذ ينبش الماضي وما فعله العرب في سوريا مع طابور تركي ، الى ما هنالك من المدفونات التي لا لزوم لها في مثل هذه المواقف والتي يقع مثلها حتى بين الاهل والعشيرة الواحدة ومع ذلك فقد طلب اليه فخامة رشيد بك ، الاذن له ولجماعته السفر الى تركيا ، وكذلك طلب سماحة المفتي . فوعدهم بأن يستطلع رأي انقره .

واخيراً جاء الجواب بعد طول انتظار بالسماح لرشيد بك وجماعته بالسفر الى تركيا ، اما المفتي فلا سبيل الى قبوله ، وا. كلاجي ، سياسي يقيم في مكان معين . ومع ذلك وعد السفير التركي

بأن يعيد الكرة ويعرض الامر على عصمت باشا رئيس الجمهورية . ولكن ذهبت كل محاولة سدى واصرت الحكومة التركية على موقفها وهو عدم السماح للمفتي بدخول الاراضي التركية . وفهم ان الانكليز هم الذين ضغطوا على تركيا لتقف هذا الموقف.

وشعر سماحته بالخطر . أما رشيد بك فقد أخذ يستعد للسفر الى تركيا واعداً سماحة المفتي بالسعي هناك لحل المعضلة ، حتى يتمكن الشريف شرف والمفتي وجميع الاخوان من السفر الى تركيا .

أما انا فقد وقعت في حيرة . رشيد بك يريد ان يصطحبني معه الى تركيا ، وسماحة المفتي يصر على بقائي معه . ولما ترك لي الخيار آثرت البقاء الى جانب سماحته وربط مصيري بمصيره .

ولما يئسنا من تبديل موقف تركيا نحونا اتصلنا بسفير المانيا في طهران ، فكان يطمئننا بانه لا خطر علينا وان الحكومة الايرانية عازمة على الدفاع عن حيادها مهما كلفها الامر . ولكني بينت له أن ذلك لا يكفي ، وانه اذا كان العراق قد دافع عن حياده مدة ثلاثين يوما فليس في وسع ايران ان تصمد اكثر من ٢٤ ساعة — انك واهم ، ياهر كمال ، ومخطيء جداً ان الجيش الايراني مزود بأحسن الاسلحة ، ولديه ٣٠٠ طائرة ، ودبابات كثيرة وهو مؤلف من ٤٠٠ الف جندي . فضلا عن المساعدات

التي سنقدمها اليه .

ـ ولكن ياسيدي تساعدونه من الجو ، كما ساعدتمونا .. وقبل ان تفكروا في المساعدة تكون الجيوش الانكليزية من الجنوب والروسية من الشمال قد أطبقت على ايران ، وثق ياسيدي ان ايران لا يمكنها الصمود أمام هاتين القوتين اكثر من يوم وليلة . هذا عدا الفارق العظيم بين العراق وايران . فان سكان هذه البلاد يكرهون الشاه ولا يطيقون حكمه ، في حين أن الحركة العراقية كانت مدعومة بالرأي العام ، وكان الشعب يعضدها .

ـ انا مطمئن يا هر كمال الى حالة ايران .

ـ إننا يا معالي الوزير ، عازمون على الخروج من ايران الى تركيا ، ولكن الحكومة التركية رفضت الاذن لنا في دخول اراضيها ، فما العمل ؟

ـ سأسعى لدى الهر فون بابن في انقره لحمل الحكومة التركية على تغيير موقفها منكم ، وبعد ذلك ننظر في ما يجب ان نفعله .

ـ وإذا أصرّت الحكومة التركية على موقفها ، فما هو الحل ؟

ـ ولماذا تخافون ، الحالة هادئة ، والحكومة الايرانية على الحياد ؟

ـ ونحن ايضاً بذلنا جهدنا للبقاء على الحياد ، وكنا نعرف حقيقة قوتنا ، ولكن الحوادث جرفتنا ، لان انكلترة أرادت احتلال العراق عسكريا ، من أجل أن تضمن اتصالها بروسيا . وايران

هي الحلقة المفقودة في سلسلة المواصلات بين روسيا وانكلترة عن طريق البحر الابيض المتوسط ، فلابد إذن ان تتفق بريطانيا مع روسيا لاكمال السلسلة بهذه الحلقة ، فإما ان تذعن الحكومة الايرانية وإما أن ترفض وتصر على حيادها ، ومعنى ذلك الحرب ، ومعناه المقاومة ٢٤ ساعة .

ـ لا ، هذا غير ممكن . فقد أكد لي رئيس الوزارة الايرانيه في اجتماعه الاخير بأن الجيش الايراني على استعداد تام للقتال حتى آخر جندي . ثم ان روسيا ستنهار في أربعة اسابيع لاغير .

و كنت بعد كل حديث يجري بيني وبين السفير ، أذهب الى رشيد بك وسماحة المفتي وأقص عليهما ما جرى . واتفقنا على الاجتماع بالسفير الالماني . فطلبنا موعداً وذهبنا لزيارته ، وكان معنا المرحوم أمين بك التميمي .

وعدنا نتحدث مع السفير بالموضوع نفسه . ثم انتقلنا من هذه المناقشة العقيمة ، الى ضرورة الانتقال من ايران لان البقاء فيها خطر علينا وعلى رعايا المانيا انفسهم .

وقال السفير : « لا اريد ان اخفي عليكم شيئا . فقد اتخذت التدابير الفنية لنقل ١٤٠٠ شخص من الرعايا الالمان ، وأعددت لهم السيارات اللازمة وخزنت لهم البنزين الكافي ، وقد أدخلتكم وانتم ٦٤ شخصاً في حسابي لكي تسافروا معنا . »

ـ شكراً جزيلا ، يا سيدي السفير ، ولكن ...

وانبرى له أمين بك التميمي وقال : ومتى السفر ؟

السفير ـ في حالة وقوع الخطر .

أمين بك ـ في مثل هذه الحالة لا يمكنكم يا معالي السفير الاعتماد على ترتيباتكم . هذه ترتيبات إدارية في أيام السلم ، أما إذا وقعت الواقعة فلا فائدة منها ..

السفير ـ لا يمكن ان أخرج من هذه البلاد رعايا دولتي ، لاني بهذا العمل أخالف تعليمات حكومتي ، واحطم معنويات الحكومة الايرانية والشعب الايراني . فانهم عندما يعلمون باننا تركناهم ، يضعف عزمهم . وببقائنا تقوية لمعنوياتهم ، وتعزيز لعزمنا على مساعدتهم إذا هوجموا .

وهكذا بقينا ونحن على أحر من الجمر . وفي أواخر تموز (يوليو) فهمنا ان هناك إنذاراً نهائياً (Ultimatum) موجهاً من الحكومتين الانكليزية والروسية الى حكومة الشاه بلزوم تسليم الالمانيين الاربعمائة الموجودين في ايران بحجة أنهم جواسيس . والحقيقة أنهم جماعة من المهندسين يعملون في المصانع الايرانية ، وعلمنا ان ايران لا يمكنها الاستغناء عنهم ، واكدت ان لا علاقة لهم بالسياسة ، وانه إذا تحقق تدخل احدهم بالسياسة فانه سيحاكم حالا .

ولكن الحلفاء أصروا على إنذارهم وأصرت ايران على موقفها . وكان السفير الالماني لا يزال ثابتاً على رأيه الذي أبداه لنا . أما السفير الايطالي فقد كان يرى مثل رأينا في وجوب مغادرة البلاد . ولكنه لا يبت في أمر إلا بالاتفاق مع زميله الالماني . وأخيراً وقعت الواقعة ودخلت الجيوش البريطانية والروسية الاراضي الايرانية . فساءت الحالة في العاصمة واشتد الغلاء . أما الجيش الايراني فليس في وسعنا ان نقول إنه هُزم لانه في الحقيقة لم يحارب . وفي الليلة التي كان الروس يستعدون فيها للدخول الى طهران ، قصد وزارة الخارجية الايرانية وفد منا مؤلف من امين بك التميمي ورؤوف بك البحراني ، ليستطلع رأيها في مصيرنا ، فكان جواب الوزير السهيلي « أنتم لاجئون سياسيون ، تحلون ضيوفاً في ظل ايران . ولا يمكن ان تسلموا الى خصومكم لان ذلك تقضي به القوانين الدولية وشرف الايرانيين .

ثم عدنا الى قواعدنا ونحن غير مطمئنين . وفي اليوم نفسه ذهبت الى السفارة الالمانية فوجدت السفير منهمكاً في حرق اوراق السفارة ويكاد يبكي . وسألته ماذا ينوي ان يعمل ؟ فقال : لقد خدعنا ، ولكن لا بأس سنرجع الى ايران ظافرين ..

وفي الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٢٨ آب سنة ١٩٤١

فوجئت بخادم سماحته يقرع نافذة الدار التي كنت أسكنها مع الشريف شرف وأمين زكي باشا فاستيقظت مبهوتا ، وسألته ما تريد ؟

ـ سماحته يطلب قدومك اليه في الحال ولو في ثياب النوم .

وجئت الى دار سماحته . فقال : نحن عند الصباح في خطر ، وسوف يقبض الانكليز علينا ، علمت ذلك من مصدر موثوق به ، من فلان (وقد نسيت اسمه) وهو كما تعلم أذكى رجل عرفناه في السلك الدبلوماسي . فما العمل ؟

ـ ليس لك ياسيدي إلا أن تنتقل الى مكان بعيد عن كل خطر .

ـ أين ؟

ـ السفارة اليابانية . وهناك صاحبنا سكرتير السفارة الذي كان في بغداد .

ـ إذن إذهب الي الشريف شرف وأمين زكي باشا وأيقظهما ، ودعهما يحضران حالا لنذهب معاً الى السفارة اليابانية .

وهنا ترددت وقلت لسماحته : لا أعتقد انه يوجد محل لهما في السفارة ، ومن الصعب ان نختفي كلنا هناك ، وأعتقد ان سماحتك موضع الخطر الاساسي ، وأما الباقون فلا خوف كبير في النهاية عليهم .

— لا يا كمال، ان المروءة تتطلب منا الاهتمام بهما كما نهتم بأنفسنا. وقد أرسلت احذر بقية القواد من الخطر المحدق بهم وأفهمتهم أن يتدبروا امرهم، ولابد انهم وضعوا خطة تنقذهم وسوف ينفذونها. سر على بركة الله وأيقظ الشريف شرف وأمين زكي باشا.

وذهبت فأيقظتهما، ولكن الشريف شرف أيقظ السائق وطلب اليه إحضار السيارة، ثم أخذ يملؤها من امتعته الخاصة حتى لم يبق فيها مكان لقعودنا. وبينما نحن في هذه الحالة، إذ فوجئنا بالشرطة تطوق المكان، وتطلب من السائق ان ينزل من السيارة، وتمنع اي شخص من الخروج من الدار ولكني انسللت بخفة وذهبت الى دار سماحته وأخبرته بما حدث.

— ولماذا تأخرتم؟

— الجماعة لا يذهبون إلا ومعهم كل ما لديهم من متاع. أفهمتهم ان المسألة مسألة حياة وممات، ولكن أصروا... والآن ياسيدي الدار مطوقة، فأرجو ان تخرج حالا من الباب الخلفي وتتجه الى المفوضية اليابانية.

— وهل دبرت الامر في المفوضية، وهل وافقوا؟

— نعم كل شيء حاضر، وقد وافقوا.

— إذن هيا بنا.

وسارت السيارة . واستقبلتنا المفوضية بكل ترحيب وخرج السفير بكل احترام وأدب وحشمة ، وقدّم لنا سكرتيره ، ثم قادنا الى غرفتين ، واحدة لسماحته والاخرى لي .

وذهبت في اليوم التالي أسعى لتدبير الامور ومعرفة أخبار جماعتنا . وفيما أنا منهمك في سعيي ، إذ أحاط بي نفر من رجال الامن العام الايراني وقادوني الى السجن فبقيت ٢٤ ساعة في غرفة خالية من كل اثاث . وبعد الاحتجاج على هذه المعاملة ، قادني ضابطان الى حاكم طهران العسكري آغاي احمدي . فسلّم علي بالافرنسية ، ثم سألني : أين المفتي ؟

ـ لا أعلم يا سيدي ، وانا منذ ٢٤ ساعة في السجن .

ـ والله لايعلم مكانه احد غيرك ، وتبسم .

ـ اؤكد لسعادتكم أني لا أعرف مكانه الآن ، وهل من الضروري معرفة مكانه ؟

ـ بالطبع ، لان الموضوع على جانب عظيم من الخطورة بالنسبة للحكومة الايرانية .

ـ ما دام الامر كذلك ، فانه يهمني جداً مصلحة ايران التي آوتنا طول هذه المدة . وأطلب من سعادتكم ان تطلقوا سراحي لكي ابحث عنه واعرفكم .

فتبسم الآغاي احمدي وقال : حقاً انها فكرة حسنة . ونادى احد اعوانه وقال له : اتركوه .

فنزلت من السراي وانا اكاد لا اصدق . ولكن رأيت ورائي عدة اشخاص يتبعونني ، فاذا هم من رجال الامن العام الايراني . ومشيت بسرعة علني أجد زقاقاً ضيقاً أدخل منه . فبادرني أحدهم سائلاً : الى اين انت ذاهب ؟ فقلت الى الطبيب لآخذ ابرة ضد الملاريا . وبعد جدال طويل اصروا على مرافقتي حيث أذهب .

وبدلا من ان يطلقوا سراحي قادوني الى الدار التي أسكنها مع الشريف شرف فوجدتها محاصرة بجنود ايرانيين وفيها اخواننا من الوزراء والقواد العراقيين .

وهكذا ابتدأ اعتقالنا وابتدأت مرحلة جديدة بدايتها اول آب سنة ١٩٤١ ونهايتها آخر يوم من كانون الاول سنة ١٩٤٥ .

اعتقالنا في طهران

اعتقلنا في دارنا في ولى آباد ، وكان بامكاني في اليوم الثاني أن ألوذ بالفرار والالتحاق بسماحته ، ولكني لم أفعل ، لان الاخوان العراقيين ظنوا ان سماحة المفتي تمكن من تدبير شؤونه الخاصة ولم يهتم بأمرهم ، مع ان الامر على العكس ، فان سماحته لم يسافر من طهران ولم يتمكن بعد من تدبير طريقة للخروج منها . على أني وجدت أنه من حسن المجاملة ان أبقى معهم في المعتقل ، وخاصة لان بعضهم ، كأمين زكي باشا ، قد بدأ يتذمر ويقول: «لماذا لايكون المفتي ايضاً معنا ، ولماذا نتركه في السفارة اليابانية وحده ؟ » فكنت أجيبهم : « ان المفتي لم يأل جهداً في السعي من اجلكم ، ولنفرض انه اهتدى الى خطة تخرجه من هذا المأزق ، فهل من المعقول ان يتخلى عني ، وانا الذي آثرت البقاء الى جانبه ؟ فلندع إذاً المفتي وشأنه ، ولنكن على ثقة بأنه يفيدنا اكثر مما نفيد انفسنا اذا ظل طليقا » .

ومما يؤسف له ان القائد كامل شبيب أرسل كتاباً الى حكومة بغداد يتنصل فيه من الحركة ويلقي التبعة على رشيد بك والمفتي بعبارات غير لائقة . وقد حمل هذا الكتاب كثيراً من المعتقلين على مقاطعة كامل طول مدة إقامته في المعتقل الى

ان قبضت عليه السلطات العراقية وأعدمته .

وجاء ذات يوم السيد المقدادي مدير الشرطة في طهران ، وانتحى بي ناحية من الدار ، وقال لي بالعربية ، وكان يتقنها : « لا شك أنك أدرى الجميع بالمكان الذي يقيم فيه المفتي ، لذلك أرى من الخير لكم جميعاً أن تدلنا عليه ، وثق بأن اختفاءه سيضطر الحكومة البريطانية الى إنزال أقسى العقوبات بكم ، فضلاً عن أننا سوف نعثر عليه مهما طال أمد اختفائه ، فهل لك ان تقي نفسك سوء العاقبة ، وتوفر علينا كثيراً من المتاعب ثم تربح الخمسة والعشرين الف جنيه التي خصصتها السفارة البريطانية لمن يدل على المفتي ؟ » فقلت له وقد أخذتني الدهشة : « خمسة وعشرون ألف جنيه! هذا مبلغ عظيم ، ولكن ما الفائدة ، ان من عادة المفتي ان لايطلع احداً حتى ولا ابنه على تدابيره الخاصة » .

والحقيقة أني ، كما ذكرت ، تركت سماحته في السفارة اليابانية . ثم أرسلت اليه اخبره باعتقالي وأعلمه أن بقاءه في السفارة محفوف بالخطر . واني أذكر هنا ان سماحته كان قد طلب إليّ البحث عن امكنة في طهران غير السفارات للاختفاء فيها ، فتبرع احد التجار اللبنانيين ، السيد دولان مرعوش من طرابلس ، وهو تاجر موبيليا وسجاد ، بأن يقدم لنا ناحية من داره أو مستودعا تحت محله التجاري . ولما كنا قد لقينا من شهامة هذا

الشاب الشيء الكثير ، لم يشأ سماحته توريطه في هذه الامور ، وقررنا مفاوضة السفارة اليابانية كما ذكرنا آنفا .

ثم انتقلنا الى دار اخرى بمعرفة السلطات الايرانية وبقينا فيها شهراً او اكثر . وسافرنا بعد ذلك الى الاهواز في جنوبي ايران ، فسلمتنا السلطات الايرانية الى السلطة العسكرية البريطانية ، وأدخلتنا هذه الى سجن الاهواز العادي المسمى «بزندان اهواز» وهو اقذر سجون العالم قاطبة ، فبقينا فيه نحو ثلاثة اشهر . وفي هذا السجن مئات من عرب المحمرة قضوا سنيناً طويلة بسبب معارضتهم للسيطرة الايرانية ، وكان المسجونون يلاقون من انواع الظلم والمعاملة السيئة ما ليس بالامكان وصفه ، أما نحن فقد تكفلت السلطة العسكرية البريطانية باعاشتنا ، ولكن غلب عليها التشفي فلم تحسن هي ايضاً معاملتنا . وكانت التدابير الصحية ناقصة ، فالماء ملوث ، وهو يأتي من حوض قذر ، مما اضطرنا الى ان نغليه قبل شربه .

وفي احد الايام جاءنا الجنرال الانكليزي المسؤول عن المنطقة فبادرنا اليه نرجوه تحسين حالة السجن . فانتهرني وأجاب : ألا تخجلون من مطالبتنا بشيء من الاشياء ؟ أنسيتم سوء المعاملة التي عاملتم بها اضبائنا وجنودنا ؟ » واستغربت كلامه ، وبادرت بالرد عليه ، فحاول إسكاتي ، ولكني رغم سخطه وغضبه قلت

له : « هذا غير صحيح ، لقد عاملكم العراقيون احسن من هذه المعاملة » . وحقاً إن الحكومة العراقية تركت الرعايا البريطانيين يلتجؤون الى سفارتهم والسفارة الاميركية ، وعاملتهم معاملة طيبة.

الحالة الداخلية في طهران

كان الشاه رضا خان مسيطراً سيطرة تامة على بلاده ، وكان يقيم المصانع والمتاجر ويتاجر لحسابه الخاص ، وكان الشعب يئن من هذه الحالة ، ولا يستطيع احدٌ الاعتراض . وقد لقي احدنا في السجن رجلاً مكبلاً بالسلاسل والقيود الحديدية ، وفهم منه أنه مضى ١٥ عاماً وهو في هذه الحالة بسبب رفضه بيع ملكه بألفي تومان مع انه يساوي مائتي الف تومان ! !

ولما دخلت الجيوش البريطانية والروسية الى ايران تنفست البلاد الصعداء وارتسمت على وجوه القوم علامات الرضى . ومع ذلك فان العقلاء منهم كانوا يخشون على بلادهم مغبة التقسيم والاحتلال . وعلى أثر دخول الحلفاء البلاد أُنزل الشاه عن العرش ونصب ابنه مكانه ومشت البلاد في سياستها الداخلية على منهج جديد وأصبح الحكم ديموقراطياً الى حد كبير . ومع ذلك فلا يمكن انكار مزايا الشاه رضا بهلوي الكثيرة وأياديه البيضاء على ايران في كثير من الامور .

في سجن الاهواز

من الشمال الى اليمين السيد امين زكي رئيس أركان
حرب الجيش العراقي والسادة أمين التميمي
داوود السعدي ناجي السويدي
رؤوف البحراني

في معتقل الاهواز

من اليمين الى الشمال

آمر القوة الجوية العراقية السيد محمود سلمان

وآمر القوة الآلية السيد فهمي سعيد

وجاءنا مرة احد الضباط الانكليز يخبرنا انه تقرر نقلنا جميعاً الى جنوبي افريقيا . وفي ١٦ كانون اول سنة ١٩٤١ جاء الضابط ومعه صورة فوتوغرافية صغيرة وأخذ يسأل عن صاحب الصورة ، ومن سوء الحظ كانت صورتي . فأوعز إليّ ان اكون على استعداد في الصباح الباكر للسفر ومعي حقائبي . فسألته الى اين ؟ فقال : لا اعلم .

وفي الصباح ودعت اخواني وودعوني وجميعهم يعلمون ان قضيتي صعبة وانني لن اخرج منها سالماً . وسافرت في سيارة جيش كبيرة وحولي عشرة من الجنود الهنود « الكوركا » وهم مشهورون بخناجرهم المعقوفة ، يرمونها من بعد عدة امتار فتصيب المرمى .

ووصلنا الى البصرة ودخلنا معتقل البصرة المخصص لاسرى الحرب الالمان والطليان واليابان . وبقيت هناك ثمانية ايام في في احدى الخيم .

وفي اليوم التاسع تلقيت الامر بلزوم استعدادي للسفر . وجاء الضابط البريطاني المرافق مع الهنود العشرة فسألته الى اين السفر ؟ فكان الجواب حسب العادة : لا اعلم . ثم سألني ضابط

آخر وكان مديراً للمعتقل : من اين انت ؟ فقلت له من طرابلس في لبنان .

فقال : غريب ، ان امرأتي ايضاً من طرابلس وهي من عائلة بندلي وانا ارمني .

فقلت له : وهل تعرف الى اين اسافر مع هذا الضابط ؟

فقال : أظن الى فلسطين ، الى القدس .

ففهمت عندئذ اني مسافر للتحقيق والاستجواب .

وفي ٢٤ كانون الاول سنة ١٩٤١ ، ركبنا القطار في الدرجة الاولى ، وسار بنا طول الليل ثم وصلنا صباحاً الى بغداد حيث بقينا بضع ساعات ، سافرنا بعدها الى سن الدبان او الحبانية

وبقيت في الحبانية ٢٤ ساعة حسبتها اياماً لسوء معاملة الضابط الانكليزي الذي اجابني عندما احتججت عليه بقوله :

ـ الا تعلم بانك عدو الملك ؟

ـ انا عدو الملك ؟ ! إنك مخطىء ، فاني لم اتشرف ولا مرة في حياتي بمقابلة جلالته . وإذا اردت أن تعرف الحقيقة ، فابرق اليه واسأله : هل يعرفني او هل بيني وبينه أدنى عداوة ؟

ـ فتبسم وقال : انا لا اعني الملك بشخصه ، ولكن اعني حكومة جلالته !

ـ فابديت دهشتي لكل ذلك وسكت .

ثم دخلت الخيمة وفيها عدد كبير من الجنود الهنود المسلمين فتقربت منهم بشتى الطرق فاذا بنا جميعاً أصدقاء واذا بهم يتزاحمون على خدمتي : هذا يقدم الشاي وذاك البسكوت . وكان الضابط الانكليزي قد منعني من مغادرة الخيمة ولكنهم قادوني لاغسل وجهي ويدي ثم أرجعوني الى مكاني . فلما عرف الضابط الانكليزي ذلك ، انقض على المخيم وأخذ يوبخهم على مخالفة أوامره !

وفي اليوم التالي تركنا سن الدبان مع قافلة سيارات يهودية ومعنا الضابط والكوركا العشرة فوصلنا الى حيفا في آخر شهر كانون الاول سنة ١٩٤١ بعد ما ذقنا الامرين من سوء المعاملة على الطريق ، لان السواقين اليهود عرفوا قضيتي ، واللؤم من شيمهم وفي طبيعة انفسهم ، ولم ينقذني سوى ضابط هندي مسلم كان مع القافلة فاحتج لدى الضابط ووضع حداً لهذه الحالة المؤسفة .

وفي حيفا بقينا يومين ودخلت السجن المسمى بسجن البوليس العسكري ثم سافرنا الى القدس ودخلنا دار الامن العام البريطاني في بناية المسكوبية وهي مركز الاستخبارات الانكليزية المسماة « بالانتليجانس سرفيس » فلما دخلتها تفتحت الابواب جميعها وتزاحم الموظفون على رؤيتي وأخذ بعضهم يقول

بعض : « هذا سكرتير المفتي ! هـذا سكرتير المفتي ! ». ثم أدخلت غرفة المستر جايلس ، وهو مدير الاستخبارات المشهور في الشرق الاوسط ، وكان جافاً إلا أنه ولا شك رجل مهذب. وبعد التعرف ذهبت الى غرفة اخرى ، فبادرني الموظف المختص بصورتي الفوتوغرافية الصغيرة ، وكان قد تناولها من الدرج الذي امامه ، وما أن وقع نظري عليها حتى عرفت انها الصورة التي قدمتها في آذار سنة ١٩٤١ الى وزارة الخارجية الايطالية لاخذ جواز خروج من الحدود الايطالية الى المجر ومنها الى تركيا وبغداد. والصورة مأخوذة في روما في احد المحلات التي تصور على قارعة الطريق تصويراً مستعجلاً اوتوماتيكياً ومكتوب عليها : روما ، رقم كذا. ثم قال لي الموظف وكانت رتبته عالية، تلي رتبة جايلس بك :

— هل تعرف من هذا ؟

— نعم اعرفه ، و كيف لا أعرفه ، إنه انا نفسي !

— وهل تدري معنى ذلك ؟

— لا أرى له كبير معنى !

فتضاحك صاحبنا ، ومرّ بيده على عنقه متفوهاً بكلمة تعني أن هذه الصورة وثيقة ضدي وربما أدت بي الى الاعدام !

فتبسمت وقلت له : انك لعلى خطأ والصورة لا تنطوي على شيء مما تفرضه وتتوهمه .

ـ إذن سنرى فيما بعد .

وأشار الى اثنين من البوليس ان يفتشا حقائبي ويفتشاني في الوقت نفسه . ثم سألني عن الاوراق الرسمية التي لا بدّ أني احملها معي ، ولما لم يجد معي شيئاً ، أصر على الاحتفاظ بالحقائب لفحصها فحصاً فنيا ، ومن اين له ان يعلم بأن الاوراق والوثائق أودعت في بيروت ، في صرة مختومة لدى صديق حميم فحافظ عليها في تلك الايام العصيبة وانا مدين له بهذه المذكرات .

ثم أشار إليّ رجال البوليس أن أتبعهم ففادوني الى سجن القدس المركزي .

ولما وصلت الى باب السجن ، وكنت ألبس برنيطة ومعطفاً ولم أحلق لحيتي منذ اكثر من اسبوعين ، اختلف السجناء العرب واليهود في امري ، وسمعت اليهود ، يقولون بالعربية المحرفة :

ـ هذا يخودي ! هذا يخودي .

ولكن سرعان ما أدركوا خطأ ظنهم ، فقد كان لزاماً عليّ ان اسجل اسمي في سجل « الضيافة » فقلت بصوت عال ليسمعه الناس والسجناء من حولي ، لعلّ أحداً منهم ينقل الخبر الى

البلدة، فيصل الى من يعرفني ويبلّغ اهلي الذين انقطعت أخباري عنهم ولا يعلمون من امري شيئا :

ـ انا عثمان كمال حداد من طرابلس الشام .

ـ من أين انت قادم ؟

ـ من طهران . و كنت في سجن الاهواز مع بقية الاخوان العرب من فلسطينيين وعراقيين وسوريين وكان معنا السيد جمال الحسيني والسيد امين التميمي والدكتور داود الحسيني .

ـ كفى ، لا تهمنا هذه الايضاحات .

ولكنها في الحقيقة تهمني انا شخصيا . وأخذ الفضوليون منهم يقولون : قضيتك قضية سياسية وانت كنت مع الافندي في طهران ؟ فقلت : نعم ، بلا شك .

ودخلت السجن رأساً الى « زنزانة » صغيرة طولها متران وعرضها متر وارتفاعها متران ايضا . وكان الطقس بارداً والثلج ينهمر في اول كانون الثاني من عام ١٩٤٢ لما نزلت ضيفاً على الحكومة البريطانية في سجن القدس المركزي .

وفي الزنزانة أخذت اكلم من حولي من ساكني الزنزانات الاخرى فعرفت ان بعضهم محكوم بالاعدام والبعض بالسجن المؤبد وان الآخرين ينتظرون المحاكمة، واكثرهم من المجاهدين القدماء.

ودخل عليّ السجن ظهراً جاويش الاعاشة ، وهو السيد فخري مرقه وكان محكوماً عليه بالسجن المؤبد ، فلمّا عرف حقيقة امري قال: أتريد شيئاً من الخارج . قلت نعم اريد الاتصال بأهلي ليعرفوا أني هنا . وفي الوجبة الثانية اتصل بالخارج وأخبرني أن اصدقائي في القدس يتباحثون في قضيتي مع الاستاذ المحامي السيد هنري كتن ، والمحامي السيد جورج صلاح ، وإذا اقتضى الامر يمكنني ان أستدعيهما .

وبقيت عدة ايام في « زنزانتي » اضرب اخماساً لاسداس ، وارتب فصول رواية طويلة أحفظها عن ظهر قلبي ، لكي لاأتلعثم في الاجابة ، وكنت أفترض كل الاسئلة التي يمكن ان توجهها إليّ دائرة الاستخبارات البريطانية وارتب أحسن الاجوبة عليها .

الحرب دائرة الرحى ، وليس للفرد اية قيمة . والانكليز الذين يعدمون كل مجاهد يعثرون معه على رصاصة واحدة ، لن يترددوا في الحكم عليّ بالاعدام . ولكنهم ، على كل حال ، سوف يلجؤون الى مختلف وسائل الضغط ليستخلصوا مني معلومات تفيدهم قبل إصدار هذا الحكم . إن التهمة التي سيوجهونها إليّ واضحة ، فأنا امين سر المفتي ، وهذه وحدها جريمة لا تغتفر ، ثم إن لي ضلعاً في حوادث العراق الاخيرة ، وهذه ايضاً قضية مسلّمة

عندهم كما أكد لي فضيلة الشيخ عادل المولوي لما زارني في سجني . فماذا ينتظرني إذاً بعد كل هذا ؟ إنه الموت ولا شك ! فلأتشجع إذاً ، ولأجب عن كل ما أسأل عنه برباطة جأش ، وليكن شعاري منذ الآن ما قاله شاعرنا المتنبي :

واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تموت جبانا

وبعد بضعة أيام جاءني رجال الامن العام من الانكليز فأخرجوني من الزنزانة وقادوني الى دائرة الاستخبارات في المسكوبية، وهناك امام رئيسهم وسكرتيره ونفر من معاونيه، جلست وفتحت الجلسة للاستجواب . وقد أنزل الله على قلبي السكينة ، فغدوت كأني إزاء امر غير ذي بال .

ـ أنت عثمان كمال حداد ، أو بالاحرى انت توفيق علي آل شاكر ؟

ـ نعم ، إني لكما تقولون !

ـ إسمع يا هذا ، نحن نريد ان نخاطبك بصراحة . فأنت بين امرين لا ثالث لهما : القبر عن يمينك والنجاة عن يسارك . فاذا ساعدتنا في التحقيق وصدقت القول ولم تخدعنا او تجرب ان ان تكذب علينا فانك لا بد ناجٍ وعائد الى اهلك وذويك . وإلا فليس امامك سوى الموت المحتم .

وفهمت ان المتكلم هو المستر سكوت ، مساعد الرئيس وحاكم لواء نابلس ، فقلت له : أرجو منك يا مستر سكوت أن لا تلجأ الى التهديد ، لانه لا يخيفني . افعلوا بي ماشئتم ، واقتلوني إن كان يحلو لكم قتلي ، فما انا آسف على هذه الحياة التى نحياها ، ولا مرتاب في حياة أخرى أفضل منها !

ـ دع عنك الفلسفه ، فلسنا هنا للبحث في شؤون فلسفية !

ـ إن تهديدك هو الذي جعلني أتفلسف .

ـ نحن لانريد منك اكثر من كشف الستار عن مسائل هامة معينة ، وعليك ان تعطينا أجوبة صحيحة وإلا فاننا نضطر الى إجراء اللازم بحقك !

ـ لقد قالوا لي إني ضيف حكومة جلالة الملك ، أفلا تسقون الضيف قهوة قبل إعدامه ؟

ـ بكل تأكيد ماذا تشرب ؟ قهوة ، شاي ، كاكاو .

ـ إني افضل الكاكاو مع قليل من « الجاتو » اذا تفضلتم !

ونادى أحدهم شرطياً ليحضر لي ما أردت ، وليحضر لكل منهم فنجان قهوة .

ثم أخذنا نتجاذب اطراف الحديث عن الطقس في القدس وعن حالة السجن وعن غير ذلك من الامور التافهة .

وبعد ان تناولت الكاكاو والجاتو قال المستر سكوت :

- والآن هل تريد ان نبدأ بالكلام ؟

- تفضلوا سلوا ما شئتم .

- إن المعلومات كلها تدلنا على أنك كنت سكرتيراً للمفتي وانك ممن كان لهم أثر بارز في حركة العراق ، لذلك نطلب منك ان تخبرنا عن كل شيء بدون أدنى مراوغة .

- اعلموا أنني مهما كانت التهم التي توجهونها إليّ لست إلا معتقلاً سياسيا . والمعتقل السياسي حقوق معروفة في القانون الدولي ، لذلك أرفض الخوض معكم في الاخذ والرد والتحقيق والاستجواب إلا بشروط معينة .

- ما هي شروطك هذه ؟

- شروطي أن تخرجوني من الزنزانة الى غرفة ، فأنام على سرير نظيف ، ثم تدعوني أحلق شعري ، وأستحم بالماء الساخن واغير ملابسي ، ثم أنام ملء جفوني وأرتاح لمدة ٤٨ ساعة ، ثم تقدمون لي طعاماً يليق بمعتقل سياسي ، وبعد ذلك كله نتحدث في الموضوع الذي تشاؤون .

- هذا مدهش ! إنك لا تدري حقيقة أمرك ووضعك . أنت معرض لاشد العقوبات وأسوأ النتائج ومع ذلك تضع شروطاً

لاستجوابك ؟ يا للغرابة !

ـ ليس في الامر ما يدعو الى الدهشة . ماذا يضركم لو انكم حكمتم عليّ بالاعدام مثلاً و كنت حالقاً شعري، وثيابي نظيفة، وقد تناولت طعاماً عادياً ، ونمت نومة مريحة . لا أرى في ذلك ضيراً عليكم . وعلى كل حال فهذه هي شروطي !

وبعد مشادة وجدال ، تشاوروا فيما بينهم وقبلوا الشروط . وأرسلوني مخفوراً الى السجن وأدخلوني مع حقائبي التي كانت محجوزة لديهم الى غرفة كبيرة ، وأحضروا لي سريراً لا بأس به ، وفراشاً وتوابعه ، ثم أحضروا لي آلة الحلاقة فحلقت ، وأعدوا لي حماماً فاغتسلت ، وغيرت ملابسي ، ثم قدموا لي طعاماً خفيفاً مؤلفاً من الجبنة والحلاوة والزيتون والبيض والخبز الجيد فتناولته بشهية زائدة . ونمت ليلتين نوماً عميقاً ، واستيقظت في الموعد المضروب فوجدت رجال التحري قد حضروا ليأخذوني معهم .

ـ هل انت مستعد ؟

ـ نعم ، أنا على تمام الاستعداد .

ـ هيا إذن .

فذهبت معهم الى دائرة الاستخبارات حيث بدأ التحقيق . وكانت الاسئلة توجّه إليّ باللغة الانكليزية . فأجيب شفاهياً على

كل سؤال ، ثم يدوّن جوابي على الورق واوقعه . وفيما يلي نصّ الاسئلة وأجوبتي عليها :

ـ هل انت حقيقة سكرتير المفتي ؟

ـ كلا لست سكرتير المفتي وإنما كنت أتردد الى داره في الذوق لاعطاء نجله السيد صلاح الدين دروساً في اللغة الانكليزية والتاريخ والجغرافيا والرياضيات .

ـ وكيف قفزت من الذوق الى بغداد ؟

ـ لما سافر المفتي الى بغداد ، ظن الافرنسيون أن لي علاقة سياسية به ، فاضطررت للسفر الى بغداد خوفاً من بطشهم .

ـ وفي بغداد ماذا فعلت ؟

ـ داومت على إعطاء نجله الدروس الآنفة الذكر ، وكنت اتردد على سماحته لانه كان يريد ان يدرس اللغة الافرنسية .

ـ حسناً . وماذا تعلم عن « الآنسة دي بونو » ؟

وهنا أدركت من سياق الكلام أنهم اخذوا ينصبون لي شركاً . فسألتهم :

ـ أية آنسةٍ تعنون ؟

ـ سكرتيرة المفوضية الاسبانية في القاهرة التي جاءت سنة ١٩٤٠ الى بغداد ، والتقيت بها .

ـ نعم نعم اذكرها الآن جيدا . إنها جاءت الى بغداد وطلبت من الحكومة العراقية ان تأذن لاسبانيا بانشاء مفوضية في بغداد . وعرضت هذه القضية على السيد نوري السعيد فرفض طلبها . واخيراً لجأت الى سماحة المفتي ليسعى لدى الحكومة العراقية في تلبية طلب حكومة الجنرال فرانكو . ثم ما لبثت ان ارسلت الى سماحته بطاقة طلبت فيها مقابلته . وأعطاني البطاقة لاترجمها وطلب إليّ الحضور في الموعد الذي عينه للاجتماع بها .

ـ إذن ابتدأت تتدخل في السياسة ؟

ـ كلا ، لم أكن سوى ترجمان .

ـ وعمّ كان الحديث ؟

وهنا لاحظت أنهم يريدون استدراجي لمعرفة ما اذا كنت أصدقهم القول ام لا . وشعرت في تلك الساعة أن سكرتيرة المفوضية المذكورة لم تكن سوى جاسوسة بريطانية وأنها لابدّ قدّمت اليهم تقريراً مفصلاً عن الحديث الذي جرى بحضوري ، فقلت :

ـ لقد تناول الحديث علاقة اسبانيا الادبية والتاريخية بالبلاد العربية . واستطرد سماحته الى ما يخامره من امل في ان تسمح الحكومة الاسبانية لاخواننا في الريف الاسباني بارسال العشرة

آلاف جنيه استرليني التي كانوا قد جمعوها باسم منكوبي فلسطين وكانت الحكومة الاسبانية لا تسمح بخروج العملة الاجنبية من الاراضي الواقعة تحت سيطرتها . فوعدتنا الآنسة دي بونو بالسعي لتحقيق هذا الامل . ولكنها لم تعمل شيئا .

ـ لماذا سافرت الى اوروبا ؟

ـ ان الحكومة العراقية كانت تسعى في بيع غلال العراق للخارج ، وبخاصة التمور المتراكمة في ميناء البصرة . ولما كان لي إلمام بالشؤون التجارية فقد أرسلتني الى ايطاليا لعرض كميات منها وشراء ادوية ومصنوعات ايطالية عوضاً عنها .

ـ إذن ذهبت الى بلاد المحور ؟

ـ نعم ، لا أنكر ذلك ، ولكني لم أتدخل في الشؤون السياسية ، واقتصرت على عرض منتوجات العراق في ايطاليا . واتصلت بالسفير بوتي في وزارة الخارجية الايطالية لعقد بعض الصفقات التجارية .

(وسردت لهم المنتوجات المعروضة والاسعار ثم المواد التي يريد العراق شراءها من ايطاليا واسعارها . وكل هذه النقاط رتبتها ترتيباً محكماً وانا في الزنزانة . وأتقنت حفظها خوفاً من التردد .)

ـ ألم تعلم ان السفر الى بلاد المحور يعدُّ جريمة في زمن الحرب ؟

ـ لست انا المسؤول عن ذلك . كل ما اعرفه هو أني وسيط حكومة عربية كلفتني القيام بمهمة . ومع ذلك فان العراق لم يقطع علاقاته السياسية بايطاليا في ذاك الوقت .

ـ وهل تعني أنك لم تسافر الى المانيا ؟

ـ الى المانيا ؟ ! وكيف يمكنني السفر اليها والعلاقات مقطوعة بين البلدين ؟

ـ إذن من هو مكس موللر ؟

ـ مكس موللر ؟ ! لا علم لي بهذا الاسم !

ـ أوليس هو اسمك ؟ وكان يطلبه الراديو الالماني بصراحة إبّان الحركه العراقية ؟

ـ هذه اول مرة أسمع فيها بهذا الاسم .

ـ حسناً، وهل أتممت شيئاً من الصفقات التجارية مع ايطاليا؟

ـ كلا ، لان الطليان رفضوا مشترى التمور إلا إذا كنا نسلمهم معها كميات معينة من المطاط .

ـ وماذا قلت لهم ؟

ـ رفضنا طلبهم وقلنا لهم إن المطاط من المواد الداخلة ضمن المجهود الحربي البريطاني فلا يمكننا ان نقدم لهم شيئاً من هذا القبيل .

ـ (ضحك) حقاً إنك لتستحق شكر الحكومة البريطانية لغيرتك الصادقة على مجهودها الحربي !!

ـ نعم، وما الداعي الى الشك في قولي وانا لم أسر إلا حسب تعليمات الحكومة العراقية التي كانت تبذل الوسع لاجتناب التورط في مشاكل سياسية مع الحكومة البريطانية ؟

ـ ألا تعرف اللغة الالمانية ؟

ـ لي بها إلمام قليل جدا . وماذا تريدون بهذا السؤال ؟

ـ نريد ان نعرف اللغات التي تتكلمها فقط .

(والحقيقة أنهم يريدون أن يعرفوا ما اذا كنت واسطة الاتصال بين العراق والمانيا . وقد سألوني هذا السؤال عدة مرات، فكنت أجيبهم في كل مرة أنه ليس من الضروري ان يعرف الانسان اللغة الالمانية للتفاهم مع الالمان، وبينهم كثيرون يتكلمون الافرنسية والانكليزية، كما أن بينهم علماء في العربية. وخفت ان يرسلوا الى طراباس من يبحث في مكتبتي للتحقق من هذا الامر فأرسلت كتاباً الى والدي رجوته فيه إخفاء مافيها من الكتب الالمانية . ولكنه رحمه الله لم يخف هذا الامر عليه فقام بما أردت تنبيهه اليه قبل وصول كتابي بزمن طويل) .

ـ إني أتكلم العربية والانكليزية والتركية والافرنسية

من اليمين الى الشمال السادة :
كمال حداد * رؤوف البحراني * ناجي السويد
يونس السبعاوي * صديق شنشل .

فريق من المعتقلين العراقين والفلسطينين
يتوسطهم المرحوم السيد يونس السبعاوي وزير الاقتصاد
(١) والسيد صديق شنشل

الدي غولية .

ـ (ضحك) وهل من فرق بين الافرنسية الدي غـولية والافرنسية الفيشية ؟

ـ ربما !

وتمر بعد ذلك أيام واسابيع ، لم يكفوا خلالها عن إلقاء بعض الاسئلة نفسها التي سبق لهم ان ألقوها عـليّ من قبل ، لعلهم يجدون تناقضاً في اقوالي يتخذون منه حجة على أني أعمـد الى التمويه في استجوابي . ولكني أدركت مرادهم فلم أحـد قيد شعرة عما ذكرته في اجوبتي السابقة . ولما أعياهم امري ، لجؤوا الى طريقة جديدة . فقد أدخلوا عـليّ السيد حسام الدين الصلاحي الذي كان معتقلاً بتهمة الاتصال بجماعة فيشي ، وبالامير عادل ارسلان والسادة نبيه وعادل العظمه الذين كانوا جميعاً في استامبول يوم سافر اليها السيد حسام للاستشفاء . فلما رجع الى سوريا قبض عليه الانكليز وأودعـوه سجن القدس المركزي حيث بقي معتقلاً اكثر من سنة . والسيد حسام الدين له تاريخ حافل في عهد الانتداب الفرنسي في سوريا . فقـد كان وثيق العلاقة بالجنرال « مورتيه » مدير الاستخبارات الافرنسية العام في سوريا ولبنان ، ثم عين مديراً عاما للسجون في جميع انحاء

سوريا ، وكان من المقربين الى الشيخ تاج الدين الحسني ومن اصدقاء السيد بهيج الخطيب رئيس مجلس المديرين في سوريا .

والسيد حسام الدين لطيف المعشر لين العريكة ولكنه ذو مزاج عصبي ، فقد ثارت ثائرته على هذا الاعتقال الذي لم يكن ليتوقعه قط ، فلما رآه الانكليز على هذا الحال ، وعدوه بالافراج عنه بشرط ان يقوم لهم بعض الخدمات !!

ولم تكن لي معرفة سابقة بالسيد حسام الدين . وكأني بالسيد ابي الهدى اليافي الذي كان معتقلاً في احدى غرف السجن مع بعض الفلسطينيين قد شعر بالخطر الذي يحدق بي من جراء تحدثي الى السيد حسام الدين فأرسل خفية اليّ ينبهني ويحذرني منه . فبعثت اليه بشكري وطمأنته الى انني في غاية الحذر والانتباه . وأشير هنا الى ان السيد ابا الهدى اليافي كان معتقلاً معنا في سجن الاهواز ، وقد نقلته السلطة الانكليزية الى سجن القدس عقب نقلنا نحن اليه بمدة وجيزة .

ولما علم السجناء ، وخاصة المجاهدون منهم ، بامر السيد حسام الدين ، ملأ الحقد صدورهم واضمروا له السوء . ولكني كنت أهدىء ثائرتهم واحول بينهم وبينه لعلي اعرف مراده والمهمة التي كلف بها . وكان يحدثني في بعض القضايا السياسية

ويسألني اسئلة مختلفة فأجيبه بما لا يروي غليلا . ومن جملة ما حدثني به قوله :

يا أخي، انا كنت في تركيا ، وعرفت بوجه قاطع ان تركيا ستدخل الحرب مع المحور ضد الانكليز في آذار القادم ، وانا على يقين من هذ الامر . فاذا دخلت تركيا تمكنا من الافلات لانه لا بد من اجتياح سوريا وفلسطين فتتصل قوات المحور الآتية من ليبيا بالقوات التركية المهاجمة من سوريا .

فأتبسم وأقول له : ما اوسع خيالك يا حسام ! وما أبعدك عن مواضع الصواب ! إن الاتراك دهاة وأذكياء . وهم يعرفون أن هذه الحرب ان يكتب فيها النصر إلا لانكلترا وحلفائها . والانكليز يخسرون معارك كثيرة الا المعركة الاخيرة . واني اراهنك على ان الاتراك لن يدخلوا الحرب وإن دخلوها فإلى جانب الانكليز حتما .

ـ انت واهم يا اخي كمال . وأنا على ثقة مما قلت ، وستثبت لك الايام أني على صواب !

ـ وهل تراهن ؟

ـ لا ، لا أريد ان اراهن ، ولكني على تمام الثقة .

وكنت كلما خرجت مع رجال التحري للاستجواب أتى

ضابط وقاد السيد حسام الدين الى دائرة الاستخبارات ليطلعه على ما تفوّهت به او أبديته من آراء وملاحظات .

وبعد مضي شهرين كاملين على اقامتنا معاً ، لم يجد مني السيد حسام الدين الا احسن معاملة ، وقد حلت بينه وبين السجناء الذين هموا بالفتك به عندما تأكد لهم ان دائرة الاستخبارات هي التي وضعته في غرفتي ليتجسس عليّ . وفي احدى الليالي جاءني معتذراً وقال لي : « اسمع يا كمال ، لا يسعني الا ان اكون مخلصاً لك ، أتعرف لماذا كانوا يأخذونني كل يوم الى دائرة الاستخبارات وعن اي شيء يستجوبونني ؟ انهم كلفوني بتقديم تقرير يومي عن كل ما تقوله انت لي . فارجو منك ان لا تظن بي الظنون ، لاني والله لم أقل لهم عنك الاّ كل خير . وقد كانوا يضعون لي الاسئلة التي يجب ان اوجهها اليك لانقل اليهم بدوري أجوبتك عليها ، وهكذا دواليك .

فتبسمت وقلت له : « لا بأس عليك ، فأنا كنت واثقاً بان معاملتي الحسنة لك لن تثمر الاّ خيرا . » ثم اخبرني ، وكان ذلك في الخامس عشر من مايس سنة ١٩٤٢ أنه قرأ في الجرائد خبر اعدام المرحومين السادة : يونس السبعاوي ومحمود سلمان وفهمي سعيد ، وان الافرنسيين اعدموا في حلب اربعة ، اثنان من آل زنتوت وآخران من طرابلس . ولم يفتني ان ادرك أن

دائرة الاستخبارات هي التي أوحت اليه هذه الاخبار بقصد تهديدي وتخويفي .

وشعرت بان دائرة الاستخبارات ترسل نص أجوبتي الى العراق ، ثم تعاد مع ما يقدم عليها من ملاحظات فيراجعونني بشأنها . وظللت على هذه الحال حتى ملوا مني وملت منهم . فاخرجوني من السجن وارسلوني الى معتقل المزرعة بالقرب من عكا . وكلما خطر لهم سؤال بعثوا يطلبونني الى القدس . ومن هذه الاسئلة ما يلي :

من تعتقد انه قد يحل محل الحاج امين ؟ ألا تعتقد ان فلاناً او فلاناً يمكنهما ان يتوليا الزعامة مكانه ؟

فاجيبهم : لا يصل احد الى مقام الزعامة ، الا عن طريق الشعب بعد تجارب طويلة وتضحيات ملموسة .

ولا يمضي على عودتي الى المزرعة اسبوع حتى يستدعوني ليسألوني عن اشخاص عديدين وهل لهم علاقة بالمحور ؟

فأقول لهم : لا معرفة لي بالاشخاص الذين يتعاملون مع المحور . انا يا سادة لست بمحوري ولا علاقة لي بالمحور .

ـ ولكن قل لنا بصراحة . لماذا تفضل النازيين علينا ؟

ـ لا افضلهم عليكم ولا افضلكم عليهم . انتم والنازيون في

نظرنا سواء . غير ان النازيين يدينون بالقوة والسيطرة ويعتقدون أنهم شعب الله الخاص وانهم في عنصرهم ارقى من بقية البشر ، ويعملون لهذه الغاية ولا يغشون احدا . وانتم تدعون الديموقراطية وتعلنون انكم تريدون ان تحكم الشعوب نفسها بنفسها وتخدعونها بالاقوال المعسولة والاماني الخلابة ، ولكنكم في الحقيقة والواقع كالنازيين تماما ، تحبون السيطرة وتتحكمون في الشعوب الضعيفة . قولوا لي بالله ، ما هي الديموقراطية ، أليست ان تحكم الشعوب نفسها بنفسها بحرية تامة ؟ خذوا مثلا سوريا ، فقد اعلنت فرنسا انها ستجري فيها انتخابات حرة ، ففازت الكتلة الوطنية بالاكثرية الساحقة ، ولكن ذلك لم يرق للفرنسيين ، فعطل المندوب السامي الافرنسي الدستور وحل المجلس . ثم خذوا مثلا آخر : فلسطين . كان اليهود لا يتجاوز عددهم الخمسة بالمائة من السكان ، فاذا بكم تتكلون بالعرب وتسلطون عليهم اليهود لتحولوا الاقلية الى اكثرية ، وتضعفوا الاكثرية العربية . كما تفعل المانيا في بولونيا والبلاد التي تحتلها . ولكن المانيا لا تدعي الديموقراطية ، بل انتم الذين تدعونها . والالمان يفعلون ما يقولون ، وانتم تقولون ما لا تفعلون .

فلا يجيبونني بغير ابتسامة فاترة ! ثم يخرج المستر جاياس ويقول لي ما سمعته منه ومن مساعده برنز مراراً : ثق تماماً ان

الافرنسيين سيخرجون من سوريا ولبنان . هـذا امر لا شبهة فيه مطلقا .

ـ وفلسطين ؟ انها أخرى بان ترفعوا عنها كابوس الصهيونية وتنيلوها حقوقها المشروعة . فنحن لا نخاف الافرنسيين في سوريا ولبنان ، لانهم لا بد ان يخرجوا منها ، ولكنا نخاف اليهود . وسبب ذلك ان الافرنسيين ليس لديهم هجرة كبيرة ولانخشاهم كما نخشى الطليان ، بسبب قلة المواليد عند الافرنسيين ونقص عدد السكان المستمر ، اما اليهود فالخطر منهم عظيم على فلسطين وهدفهم اغراقها بالمهاجرين اليهود من جميع اطراف المعمورة . فلماذا لاتبرهنون على حسن نواياكم في فلسطين ايضا ، وهي في حوزتكم ، وتعدوننا بانقاذ بلاد هي في حوزة غيركم ؟ الحقيقة أنكم تعملون لكي يكون الشرق الادنى كله في ايديكم ، وتسعون في طرد الافرنسيين من سوريا ولبنان ليصفو لكم الجو لا لمنح الشعبين السوري واللبناني حريتهما .

ـ قضية فلسطين قضية معقدة لسوء الحظ !!

وبعد ان عدت الى المعتقل . عادوا فطلبوني في تموز سنة ١٩٤٢ لامر خطير .

ـ لقد قررنا اخلاء سبيلك ، لترجع الى بلدك . وقد زرنا والدك

ايضاً وطمأناه عليك .

ـ اشكركم .

ـ قل لنا الآن ماذا تريد ان تعمل اذا اطلقنا سراحك ؟

ـ اشتغل في التجارة .

ـ إذن كن على استعداد لتتلقى قريباً نبأ الافراج عنك . هناك امور لم ننته من درسها بعد . ولكن الافراج عنك اصبح محتما .

وأعدت الى المعتقل . وبعد مدة استدعيت لمقابلة المستر جايلس او جايلس بك Giles Bey فلما مثلت امامه قال :

ـ هل تعلم لماذا استدعيتك ؟

ـ أظن لابلاغي نبأ الافراج عني .

ـ نعم هو كما تقول . ولكن اريد منك امراً قبل ذلك . فلندع الماضي ولنسدل الستار على ماسببته لنا من متاعب طيلة سبعة اشهر أظهرت خلالها براعة فائقة في نفي التهم الموجهة اليك . والآن نريد ان نبدأ عهد تعاون وتفاهم يدر عليك خيراً كثيراً ويفسح امامك المجال لتصبح من ذوي الغنى واليسار . فهل تقبل بذلك ؟

ـ بلا شك ، ولكن ما هي القضية التي تريدونني ان اتعاون فيها معكم ؟

ـ خذ هذا العقد ووقعه .

الجالسون من الشمال الى اليمين في معتقل ساليسبوري
الوصي الشريف شرف * المرحوم السيد امين التميمي
الواقفون :
السادة موسى الشابندر * داوود السعدي * ناجي السويدي
جمال الحسيني * عارف الجاعوني

في منتزة مدينة ساليسبوري

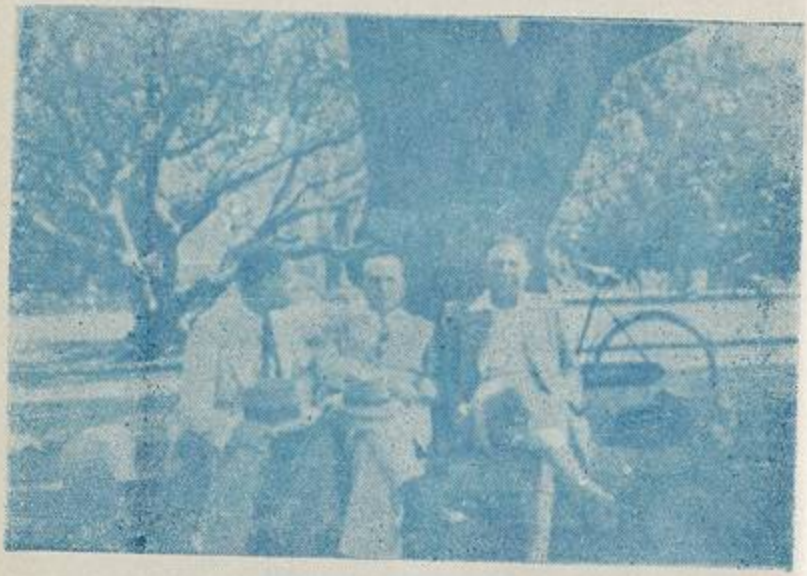

السادة (١) جمال الحسيني (٢) كمال حداد
الدكتور داوود الحسيني

فتناولته وتصفحته فاذا هو تعهدٌ بالتعاون لقاء مرتب ترك لي امر تحديده ، وفيه ترخيص لي بتعيين المبالغ اللازمة لانجاز الاعمال ، واختيار الاشخاص المساعدين وتحديد عددهم .

ـ ولكن يا سعادة البك لم يُذكر في العقد القضية التي يراد التعاون فيها !

ـ أتتجاهل ؟ وهل هناك غير السياسة وتوجيهها الوجهة التي نتفق عليها فتستفيد وتفيد ؟

ـ وحقك ياسعادة البك ، انا لست خبيراً بالسياسة ، ولا خبرة لي إلا بالتجارة ، فاذا كنتم تريدون ان تفيدوني وتستفيدوا مني فما عليكم إلا اعطائي وثائق تصدير واستيراد . اما السياسة فلن اشتغل بها لاني لا أفهمها ، وما الفائدة من تكليف رجل بأمر لا خبرة ولا دراية له به ؟ إنه يضركم ولا ينفعكم !

نحن نعرفك كل المعرفة ، فدع عنك هذا التجاهل ، ونعلم أنك تجيد السياسة لانك دبلوماسي بارع Fine Diplomat .

ـ لقد قلت لكم الحقيقة ، لا خبرة لي بالسياسة .

ـ لنفرض انك لست بها خبيرا . نحن نمهد لك الطريق .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ تخرج من هنا الى اهلك فتزورهم ساعة من الوقت ثم تذهب

الى الاذاعة فتلقي كلمة بوصفك سكرتير المفتي عن المفتي ورشيد عالي واعمالهما ضد القضية العربية !!

ـ يا مستر جايلس لا اعرف هذه الامور ، والناس حينما يسمعون مني هذا الكلام لا يصدقونه ، ويعتقدون اني اقوله تحت الضغط ، فيكون هذا العمل دعاية ضدكم وليس لكم . ثم إني لا اعرف ماذا تريدون ان اقول ؟

ـ نحن نقدم لك النقاط الاساسية والمبادىء العامة ، فلايبقى عليك غير الشرح والتوسيع .

ـ أرجو إعفائي من هذه المهمة ، لاني آليت على نفسي ألاّ أتدخل في السياسة .

ـ إن اطلاق سراحك مرهون بقبولك العمل الذي عرضناه عليك . فان رفضت فلنا معك شأن آخر . فعليك ان تفكر في الامر ملياً لعلك ترجع عن هذا العناد الذي لا يجديك نفعا .

ثم أرسلوني الى السجن فزارني فضيلة الاستاذ الشيخ عادل المولوي وقال لي : ذهبت الى دائرة الاستخبارات للسؤال عما تمّ في شأنك فأجابوا بأن لا مناص من التعاون معهم إن شئت ان تتمتع بحريتك .

ـ لقد حاولوا إقناعي فأبيت ، لاني لست من اولئك الذين يؤثرون الربح المادي على المبادىء القويمة التي أعتنقها .

وبعد شهر عادوا الي محاولتهم الاولى ، وبذلوا ما في وسعهم لاقناعي فرفضت . ثم أرسلوني الى المزرعة فبقيت فيها ثلاثة ايام ثم استدعوني مرة ثانية . ولما رأوني مصراً لجؤوا الى العنف فكبلوا يديّ بالحديد ثم اخذوني الى القدس ، فبت في السجن ليلة واحدة وفي الصباح اخذوني مع حقائبي الى جهة مجهولة . وظننت انهم سيرسلونني الى العراق ولكن لما وصلت الى طريق غزة عرفت أن السفر إما الى مصر ، او الي جنوبي افريقيا .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر وصلت الي الاسماعيلية ، وفي المساء وصلت الى السويس فأخذني الميجر فرنك وهو يحسن العربية الى سجن الاجانب في السويس وكان يديره فؤاد بك الخالدي . فأمره بايداعي السجن وتشديد المراقبة علي حتى الصباح . وكانت حالة السجن سيئة جداً وكان فؤاد بك فظاً في معاملته وأعتقد أنه كان يخاف من الميجر فرنك .

وفي الصباح جاء الميجر واخذني الي المرفأ ثم صعدنا معاً الى

الباخرة الهولندية المسماة « New Amesterdam » اي امستردام الجديدة وكانت مملوءة بالجنود . وصعدت مع ستة من البوليس العسكري الى ظهر الباخرة وأُدخلت الى غرفة ضيقة هي أقرب الى صندوق كبير منها الى غرفة . وما لبثت الباخرة ان أقلعت وبقينا ثلاثة عشر يوماً في البحر كانت الغواصات في اثنائها تهاجمنا من حين الى آخر فتصدها مدفعية الباخرة القوية . واخيراً وصلنا الى ميناء دوربين Durbin من اعمال افريقيا الجنوبية ، وكدت اسافر مع الباخرة الى انكلترا ولكن جاءت مفرزة من روديسيا الجنوبية فأخذتني الى ساليسبوري ، فوصلت اليها بعد مشقة وسفر خمسة ايام في القطار عن طريق يوهانيسبورغ وبولاوايو . ولدى وصولي الى ساليسبوري أدخلت على الفور الى المعتقل فاذا بي أجد فيه الاخوان الذين تركتهم في الاهواز فسلموا عليّ وأخبروني أنهم ما كانوا يتوقعون مطلقاً أن يروني على قيد الحياة . وأقمنا في معتقل ساليسبوري زهاء ثلاث سنوات من تشرين الاول سنة ١٩٤٢ حتى كانون الاول سنه ١٩٤٥ . أما حياتنا في هذا المعتقل فكانت دون الوسط ، ولم تتحسن إلا يوم أُذن لنا في الخروج الى المدينة في ساعات وبشروط معينة . وقد رأينا روديسيا بلاداً قطعت شوطاً بعيداً في الحضارة والعمران ، وهي تشبه سويسرا من حيث النظام والنظافة . غير ان العصبية

في المقبرة الاسلامية في ساليسبوري

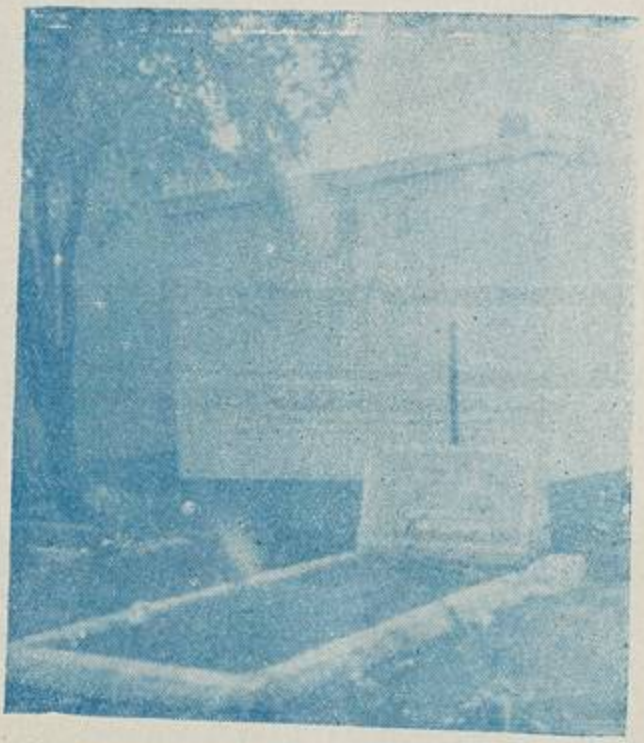

ضريح المرحوم السيد امين التميمي .

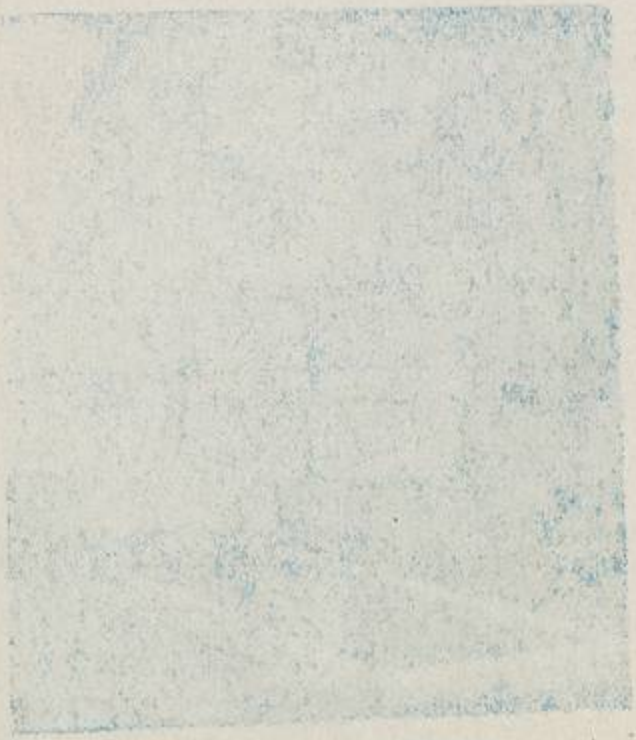

في معتقل ساليسبوري في روديسيا الجنوبية

السادة (١) الشريف شرف (٢) جمال الحسيني ، (٣) مدير
المعتقل (٤) ناجي السويد (٥) امين التميمي

العنصرية غالبة على الانكليز الذين لا يسمحون للهنود ولباقي الاجناس الملونة بدخول دور السينما والمدارس والمطاعم . ولما أعيتنا الحيل وكان اخواننا العراقيون قد رجعوا في اول سنة ١٩٤٥ الى العراق للمحاكمة بطلب من حكومتهم ، اضطررنا لاقامة دعوى على السلطات البريطانية في محكمة ساليسبوري العليا وذلك في تشرين الاول سنة ١٩٤٥ طالبين إخلاء سبيلنا . فربحنا الدعوى وكنا اربعة : السيد جمال الحسيني والدكتور أمين رويحه والدكتور داود الحسيني وكاتب هذه الاسطر . وفي آخر كانون الاول سنة ١٩٤٥ رجعنا بالطائرة الى مصر ومنها الى لبنان تاركين في روديسيا من اخواننا المرحوم ناجي باشا السويدي والمرحوم امين بك التميمي والمرحوم السيد عارف الجاعوني . وكان امين بك مريضاً بالسرطان وكان متعذراً شفاؤه ، فطلب الرجوع الى فلسطين لمشاهدة عائلته واولاده ، ولكن السلطة البريطانية أصرت على عدم السماح له بذلك وادعت أن رجوعه خطر على الامن العام في الشرق الاوسط ! ! فتوفي رحمه الله ودفن في المقبرة الاسلامية في ساليسبوري الى جانب صديقه المرحوم ناجي باشا . اما المرحوم الحاج عارف الجاعوني فقد دفن في مدينة بولوايو .

وفي سنة ١٩٤٦ كان سماحة الحاج امين الحسيني في باريس

فابتدأت المراسلة بيننا من جديد . وفي اواخر مايس سنة ١٩٤٦ تمكن من المجيء الى مصر ، فحظي برعاية جلالة الملك فاروق . ثم لم يلبث ان استأنف جهاده في سبيل القضية الفلسطينية ، فتألبت عليه القوى الاستعمارية البريطانية واليهودية التي أثرت تأثيراً كبيراً في بعض الحكومات العربية ورجالاتها فاشتركوا في محاربته وحصر جهوده وسد المنافذ عليه وحبس الاموال والاعانات والاسلحة عن الفلسطينيين ، فكان ما كان من الشر المستطير والنتائج المحزنة مما لا يتسع المجال لبحثه الآن . ولا بد أن اخصص كتاباً ان شاء الله لالقاء الضوء الكافي على حقيقة الحوادث التي أدت الى ضياع القسم الكبير من فلسطين وانتقاله الى أيدي اليهود .

اما فخامة السيد رشيد عالي الكيلاني فقد تمكن من الالتجاء الى المملكة العربية السعودية وبقي في رعاية جلالة الملك عبد العزيز آل السعود الى يومنا هذا . وما زالت قلوب العراقيين تهفو اليه ولو أُجري استفتاء حر في ارض الرافدين لما رضي الشعب عن زعيمه بديلا .

خاتمة الكتاب

هذه هي قصة الحركة التي قام بها فخامة السيد رشيد عالي الكيلاني في العراق سنة ١٩٤١ وما تلاها من حوادث، اقتبستها من الوثائق والرسائل الرسمية ومشاهداتي الخاصة. وأني أود ان لا أعلق عليها بشيء، بل أترك للقارىء الكريم أن يحكم على هذه الحركة وعلى مناوئيها حكماً عادلا حسبما يوحيه ضميره ووجدانه. ولكني أشعر بضرورة التعليق لا على سلوك الاشخاص بل على مجرى الامور في الآونة الحاضرة، مستنبطاً بعض النظريات العامة التي ربما أفادت العرب في حرب مقبلة يجمع الكثيرون على احتمال وقوعها بين الكتلتين المتزاحمتين على السيطرة العالمية: الكتلة الديموقراطية وتمثلها اميركا وانكلترا وفرنسا وحلفاؤهم، والكتلة الشيوعية وتمثلها روسيا السوفيتية، وبولونيا والمجر ورومانيا وبلغاريا والصين. فأقول:

١ــ من سوء حظ العرب انهم لا يتحدون امام العدو الخارجي، فهم فضلاً عن انهم يختلفون في القضايا الداخلية، تراهم يختلفون ايضاً في المسائل الخارجية. مع أن الحكمة تقضي بالتمييز بين الظروف التي تكون فيها البلاد معرضة لخطر شديد والظروف

السلمية العادية ، وبين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية . فان جاز الاختلاف في سياسة البلاد الداخلية وفي مناهج الاصلاح الداخلي ، فلا يجوز بحال من الاحوال أن يقع الخلاف بين الاحزاب بعضها مع بعض من جهة ، وبين الاحزاب والحكومة من جهة ثانية في تسيير دفة السياسة الخارجية وخاصة عندما يهدد البلاد خطر الاعتداء . وقد تعدّى بعض الساسة العرب الحدود المعقولة للخصومة السياسية فراحوا يستعينون بالاجنبي ويطلعونه على اسرار لا يجوز افشاؤها . وأذكر أنه في احدى جلسات مجلس الوزراء لاحدى الدول العربية ، قام احد الوزراء وقال : « نحن الآن في جلسة سرية للاتفاق على خطة عامة في سياستنا الخارجية وقد عقدنا سابقاً عدة جلسات تسربت اخبارها الى السفارة البريطانية ، فلا يليق بنا نقل اسرارنا الى الاجانب ، إذ أننا وزراء في حكومة هذه البلاد ولسنا وكلاء السفارات الاجنبية . » واشتد الجدال فما كان من الوزير المعني إلا أن بهذا الكلام انسحب من الجلسة . ولكن انسحابه لم يبعد عنه التهمة التي رافقته وترافقه طول حياته .

نعم يجب ان تتفق جميع احزابنا على سياسة خارجية واحدة وان لا تشرك الاجانب فيها ، فيقفوا على اختلافاتنا ومداها ، ويستغلوها في سبيل مصالحهم وإذكاء نار الشقاق في صفوفنا .

٢ــ ويجب على العرب أن يهتموا بايجاد رأي عام قوي وواع في وقت واحد . فان استهتار الحكومات بالرأي العام ، وعدم مبالاة هذا الاخير بأشد الامور خطورة ، جرّ ويجر كل يوم على البلاد العربية أسوأ النتائج . ومن الضروري ان يكون الشعب مطلعاً اطلاعاً كافياً على حقيقة الحوادث فلا نخدعه بالكاذب من الدعايات التي يذيعها المغرضون عن سوء نية . ولو كان هناك رأي عام واعٍ وقوي لما وصلنا في قضية فلسطين مثلاً الى ما وصلنا اليه .

٣ ــ لقد أثبتت التجارب أن العالم يتجه سريعاً نحو التكتل ، ولم يبق في وسع أي بلد من البلدان أن يستقل في كل الامور استقلالا تاما ، ولم تعد جهود البلد الواحد كافية وحدها للدفاع عن كيانه ، فصار من اللازم اللازب التكتل والتجمع لصد العدوان . فعلى البلاد العربية ان تتحد لمجابهة الاحداث المقبلة ، ليس فقط لصد العدوان بل للاستفادة ايضاً من شتى الفرص والمناسبات أو للمحافظة على حيادها واجتناب خطر الحرب وويلاتها كلما وجدت الى ذلك سبيلا . وعليها بعد ذلك ان تزن مصالحها بميزان دقيق ، فاذا اقتضى الامر اتفقت مع كتل دولية اخرى تساومها على حل المعضلات لمصلحة العرب . وكل ذلك يتطلب من الامة العربية ان تلم شعثها وتتحد سياسياً وعسكرياً

واقتصادياً لكي تصبح ذات قيمة راجحة في الميزان الدولي . ومن الضروري ان يكون هذا الاتحاد شاملاً لجميع الدول العربية وإلا فهناك اكثر من احتمال بأن تتشكل جبهات و كتل عربية مختلفة الاتجاهات ، يُعاكس بعضها بعضاً، وتكون النتيجة محاولة الدول الاجنبية استثمار هذه الاختلافات . وبدلا من ان يستفيد العرب من هذا التكتل الجزئي ، تزداد الخصومة بينهم اضطراما ويشتد التناحر والتخاذل ، لان هذه الدولة الاجنبية تحاول استثمار كتله ، وتلك تحاول استثمار كتلة اخرى . وعليه يجب ان نتجنب هذه العاقبة الوخيمة بتوسيع نظام الاتحاد بين البلاد العربية حتى يشملها كلها وتتوحد سياستها وتصبح كتلة مؤلفة من خمسين مليوناً من النفوس ، وهذا العدد أقل ما يلزم لتأليف كتلة قوية نوعاً ما بالنسبة لحالة العالم اليوم .

٤ــ ولابدّ من الاشارة الى أن تدخل الجيش في سياسة البلاد أمر له خطورته ، فاذا اضطر الجيش للتدخل مرة لسلامة الوطن فلا يلزم ان يصبح هذا سنة متبعة بل من الواجب ترك إدارة البلاد وسياستها لرجال الادارة والسياسة من المدنيين ، وعلى رجال الجيش أن يحصروا عملهم بالجيش وتعزيزه وان يعمل كل واحد في دائرة اختصاصه ولا يتعداه .

٥ــ الجيش سياج الوطن ، وموطّد اركان الامن في ربوعه .

فمهما بذلت الامة من جهود في سبيله ، ومهما أنفقت من امـوال على تعزيزه ، فانه جدير بكل هذا وبأكثر منه لانه العـدة في الازمات والملاذ عند الملمات . وما نفع بستان لا يحوطه سياج يحميه ؟ إنه معرض للنهب والسلب في كل حين . والجيش أشبه بكائن حي لا يتم تكوينه إلا بعد أمد طويل ، ولا يستمر بقاؤه ويحتفظ بقواه إلا بالمثابرة عـلى توفير عناصر الغذاء له . فمـن الضروري تعزيزه في وقت السلم حتى يصبح أداة صالحـة يوم يدعوه داعي الوطن للدفاع عن كيانه . ولا ينفع الارتجـال في تكوين الجيوش الحـديثة ، لانه متى دقت ساعة الخطر تضطر الامة الى بذل اضعاف ما تقاعست عـن بذله لتلافي التقصير ، ومع ذلك ، فقد يخونها حظ السلاح فتتجرع غصص الندم . وعلى الامة ان تضحي بالكماليات على الاقل ، لتؤمن لجيشها مايحتاج اليه من تسليح قوي حديث ، وتنظيم دقيق . والخلاصة أنه من الضروريات التي لا غنى عنها مطلقاً أن يكون لنـا جيش قوي منظم يدعم سياستنا كما يقول الافرنسيون :

« Il faut avoir l'armée de notre politique »

٦ــ ومن الواجب ان نقيم بناء اقتصادياتنا على أسس سليمة ، فان على الجبهة الداخلية الرابضة وراء الجيوش الحديثة الاعتماد الكلي في توفير الانتاج ودعم المجهود الحربي . ولا تتوطد دعائم

هذه الجبهة إلا باتباع سياسة حرة تتيح الامة ان تعبر عن إرادتها تعبيراً صحيحاً لا موارية فيه .

٧ ــ ومن اللازم ان نضع نهجاً قويماً لتحسين حالة الطبقات الشعبية ودفع العدو الداخلي عنها . وأعني بالعدو الداخلي : الجهل والفقر والمرض . وإلا إذا وجدت هذه الطبقات دعاية من بلد اجنبي لتحسين احوالها عن طريق الانضمام الى انظمته ، فانها تلبيه مرتاحة اليه لانها لا تملك شيئاً تدافع عنه . فعلينا في الشرق العربي ايجاد طبقات وسطى قوية وتقريب الفروق الاجتماعية بين الطبقات الغنية والطبقات الفقيرة ، وتحطيم الاقطاع وتوزيع الاراضي بعد تقسيمها الى ملكيات صغيرة ، وتأمين العمل والعيش اللائق والمستوى الاقتصادي العادل للفرد حتى نبعث فيه حب النظام الذي يعيش في ظله ، فيدافع عنه اذا تعرض للخطر . وبالاختصار يجب أن نضع نظاماً اشتراكياً عادلا للامة العربية تستوحيه من تقاليدها ونفسيتها ومصلحتها على أن يستهوي هذا النظام شبيبتنا فلا ننقسم في بلادنا على أنفسنا ولا تتجاذبنا الدعايات المختلفة .

٨ ــ ويجب ان لا تظل الحقائق مكتومة عن الشعوب العربية التي تتحرق غيظاً وألما ، وتضطرم فيها الرغبة لمعرفة

المسؤولين الذين كانوا السبب في كارثة فلسطين ، والعاملين على ايجاد ذلك التخاذل في صفوف الجيوش العربية . وليس أفضل لتحقيق هذا الغرض من إنشاء محكمة عليا تتألف من أنزه رجال الامة العربية وأسماهم خلقاً وأغزرهم علماً لتنظر في هذه القضية وتناقش المسؤولين من وزراء وقواد لتعيين أسباب الهزيمة ومحاكمة المقصرين في المهام الموكولة اليهم . وإذا كانت هناك مؤامرة أو خيانة فعليها أن تكشف امرها وتريح الستار عن اسرارها ، إذ ليس من المعقول أن يترك المتآمرون على فلسطين العربية بدون محاكمة ، مهما علت منزلتهم وعظم شأنهم .

فيا من تعرفون الحقيقة لا يحق لكم أن تسكتوا وتلتزموا الصمت ، فان السكوت في مثل هذه الحال اشتراك في الجريمة . وحبذا لو تملكون الجرأة الكافية فتصارحون الشعوب العربية بما تعلمون من حقائق لعلها تتدارك ما فات وتتلافى الوقوع في مثل ما وقعت فيه .

٩ ــ واخيراً فان انتصار الوفد المصري في الانتخابات الاخيرة هو نصر مجيد لا شك فيه للشعوب العربية وقضاياها العادلة وإنا لنرجوا أن تتوحد الجهود في عهده للسير في الشرق العربي في السبيل القويم إن شاء الله .

انتهى

المطبعة العصرية * صيدا

DATE DUE

JUN 0 1 2011

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

07270712
956.7
H117 C1
RASHID ALI ALRTLANI

956.7
H117

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU56813350
956.7 H117 Harakat Rash id A
AP
956.7 - H117